



شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبُّ الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - رحلة إلى الغـــردقة ..

هتف (وليد) قائلاً لصديقه (رائف) :

- ما هذا ؟ ألم تنته من ارتداء ثيابك بعد ؟

قال له (رائف) وهو يتناول قميصًا من دولاب ملابسه :

- لِمَ هذه العجلة ؟ مازال أمامنا متسع من الوقت .

- إن السيارة ستتحرك من أمام مقر الشركة بعد ساعة واحدة من الآن .. وأنت تقول مازال أمامنا متسع من الوقت !

قال (رائف) وهو يرتدى قميصه على مهل :

- والمسافة من منزلنا إلى مقر الشركة .. لا تزيد على ربع ساعة فقط ، إذن لا داعى للاستعجال .

وعلى أية حال هأنذا قد انتهيت من ارتداء ملابسى .. ولم يعد متبقيًا سوى إغلاق الحقيبة .

- دعنى أساعدك فى إغلاقها .. ولتنتهِ من هذا الأمر .

سأله (رائف) قائلاً :

ـ وأين حقيبتك ؟

ـ تركتها مع البواب .. أسفل البيت .

ـ هل سيمرّ علينا (سمير) بسيارته كما اتفقنا ليصحبنا معه ؟

ـ كلاً .. لقد اتصل بى بالأمس ، وأخبرنى أنه سيستقل سيارة أجرة إلى مقر الشركة .. لأن أخاه استعار السيارة .

قال له (رائف) وهما يهبطان فى درجات السلم :

ـ وماذا عن (عادل) .. أما زلت مصرًا على أن يرافقنا فى هذه الرحلة ؟

ـ لا تكن غبيًا .. أنت تعرف أن هذه الرحلة سترافقنا فيها (سوزى) وأختها و(نهى) وابنة خالتها .

وأنا طبعًا سأكون مشغولاً طول الوقت مع (سوزى) .. وكذلك فإن (سمير) سيكون منشغلاً مع (نهى) .

أما أنت فسيكون من نصيبك التعرف بإحدى الفتاتين .

إذن .. ماذا سنفعل بالفتاة الرابعة ؟

ـ هل تقصد أن يتم التعارف بينها وبين (عادل) ؟

ـ هأنتذا قد فهمت .. إننا سنكون بحاجة لشغل هذه الفتاة بشخص ما حتى لا يكون وجودُها عبئًا علينا .

وباعتبار أن (عادل) هو صديقنا الطيب المخلص الودود .. فلن نجد من هو أفضل منه للقيام بهذه المهمة .

نظر إليه (رائف) بدهشة ، ثم ما لبث أن أطلق ضحكة عالية ، قائلاً وكأنه قد استمع إلى أضحوكة :

ـ (عادل) ؟ ألم تجد سوى (عادل) لكى تسند إليه هذه المهمة ؟

ـ ولِمَ لا ؟

قال له (رائف) باستغراب ، وهو يعود إلى الضحك :

ـ هل تتحدث جديًا ؟ (عادل) .. إنك تعرفه كما أعرفه جيدًا .. فهو لا يستطع أن يدير حوارًا قصيرًا مع أية فتاة .. بل إن مجرد انفراده بأية فتاة لبضع لحظات ، يجعله يرتبك ويتصبب عرقًا ، ويؤدى بها إلى الهرب على الفور .

فضلاً عن مظهره .. ووجه الذى يفتقر لأدنى قدر من الوسامة .

لا أظن أن هناك فتاة يمكنها أن ترحب بوجود أية علاقة بينها وبينه .

قال له (وليد) مستنكرًا :

ـ (رائف) .. لا أحب أن أسمعك تتحدث عن (عادل) هكذا ، فلا تنس أنه صديق لى ، وزميل لنا فى العمل .

ـ أنا لا أحاول أن أسخر منه .. ولكنى أقرر حقيقة واقعة .

إن (عادل) ليس هو الشخص المناسب للقيام بهذه المهمة .

ـ قد تكون هذه الرحلة فرصة مناسبة له لكى يتغلب على خجله ، ويتخلص من إحساسه بالارتباك كلما التقى بأية فتاة .

ـ فى الحقيقة إنه يتصرف بمنطق الحكمة القائلة : « رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه » .. وهو يعرف قدر نفسه فى هذا الشأن تمامًا .. يعرف أنه بمظهره هذا لا يمكن أن يحوز إعجاب أية فتاة .. إلا إذا كانت تماثله فى الشكل .

ـ يا أخى حرام عليك .. على أية حال إنه الوحيد المتيسر لنا للقيام بهذه المهمة .

لقد بذلت معه جهدًا كبيرًا لكى أقنعه بمشاركتنا هذه الرحلة .

ـ وهل يعلم بأمر هؤلاء الفتيات اللاتى سيشاركننا الرحلة ، وأنه سيتعرف إحداهن ؟

ـ كلاً .. لم أطلعه على ذلك بعد .. وإلا رفض .. لكنى سأخبره بذلك فى أثناء الطريق .. وسأحاول إقناعه بتعرّف تلك الفتاة .

ـ لا أظن أنه سيقبل .

قال له (وليد) بضيق :

ـ قلت لك إننى سأحاول إقناعه .

ـ أظن أنك بحاجة إلى إقناع الفتاة نفسها .. فأغلب الظن أنها ستفر هاربة إلى القاهرة .. وسيؤدى ذلك إلى إفساد الرحلة بأسرها .

ـ يا أخى .. سأطلب من (سوزى) إقناعها بأن تكون لطيفة معه بعض الشىء ، حتى تنتهى هذه الرحلة .. فلا داعى لهذا التشاؤم .

ـ حسن .. ولكن سيكون لى الحق بالطبع فى اختيار الفتاة الأجمل من بين الاثنتين .

فليس هناك ما يضطرنى إلى أن أبقى مرتبطًا طوال

الرحلة بفتاة دميمة حتى يخلو لك الجو أنت والسيد (سمير) مع (سوزى) و (نهى) .

ـ يا سيدى اختر من تشاء .. فلا أظن أنك ستجد منافسة فى هذا الشأن ، ما دامت المفاضلة ستكون بينك وبين (عادل) .

ـ إذا كان الأمر هكذا .. فنحن متفقان .

قال له (وليد) وهو يشير إلى سيارة الرحلات ، التى كانت واقفة أمام مقر الشركة .. وقد وقف أمامها شاب وسيم يتميز بطول فارع ، وجسد رياضى ممشوق :

ـ كفاك ثرثرة .. ها هو ذا (سمير) واقف فى انتظارنا .

لوح لهما (سمير) بيده فى أثناء عبورهما الطريق ، حيث استقبلهما قائلاً :

ـ لماذا تأخرتما هكذا ؟ إننى هنا منذ ساعة تقريبًا .

قال له (وليد) :

ـ على أية حال .. ما زال أمامنا عشر دقائق ، قبل أن تتحرك السيارة . المهم .. هل حضر (عادل) ؟

ـ كلاً .. لم يحضر بعد .

ـ ما الذى أخره هكذا ؟

قال (رائف) :

ـ ربما يكون قد غير رأيه .

قال (وليد) :

ـ لكنه أكد لى أنه سيأتى .

هتف (سمير) قائلاً :

ـ ها هو ذا !

وما لبث أن أقبل عليهم شاب متوسط الطول .. ممتلئ الجسم قليلاً .. تخلو ملامحه من الوسامة وإن تجلت ملامح الطيبة فى وجهه .

قال (عادل) :

ـ صباح الخير .

ـ ما الذى أخرك هكذا ؟

ـ لقد أصرت أمى على أن أتناول الإفطار معها قبل أن أغادر المنزل .

قال له (رائف) ساخرًا :

ـ أمك ؟!

قال (سمير) :

- هيا بنا لنركب السيارة .. فقد اكتمل العدد المطلوب للرحلة .

وما لبثت أن تحركت بهم السيارة ، فى طريقها إلى الغردقة ، لقضاء أسبوع هناك ، ضمن مجموعة من العاملين بالشركة العالمية للاستيراد والتصدير ..

جلس (سمير) بجوار (رائف) فى حين جلس (وليد) بجوار (عادل) فى السيارة حيث سأل (رائف) صديقه قائلاً :

- هل ستلتقى بخطيبتك هناك ؟ أم أنها ستلحق بك ؟

- كلاً أظن أنها قد سبقتنا فى السفر إلى الغردقة .. فقد أخبرتنى أنها ستسافر مع خالتها وزوج خالتها وابنتهما بالأمس .

- هل سينزلان فى أحد الفنادق ؟

- كلاً .. إنهما يمتلكان فيلا صغيرة بالقرب من البحر .

- أظن أن عائلة خطيبتك ثرية .

- ليس بالقدر الذى تتصوره .. وإن كان زوج خالتها ثريًا بالفعل .

- إذن سأسعى للتقارب من ابنته .

ابتسم (سمير) قائلاً :

- يا لك من شخص وصولى ومادى !

- أنا فقط إنسان واقعى .. لقد آن الأوان لكى يفكر المرء فى الارتباط والزواج .. ومتطلبات الزواج فى هذا الزمن تحتاج إلى الكثير من المال ، الذى يصعب الحصول عليه .

- لكنك تحصل على راتب جيد فى الشركة التى تعمل بها ، ولا ينقصك شىء .

قال له (رائف) ساخرًا :

- راتب جيِّد ؟ إن عشرة أمثال هذا الراتب لا تفى بمتطلبات الزواج اليوم .

- بل أظن أنه يكفى لو تواضعت فى طموحاتك قليلاً .

- أنت تقول هذا لأنك من أسرة ميسورة الحال .. لم تذق فى حياتك طعم الفقر .. أما أنا فقد ذقته وجربته جيدًا ، وأصبحت أعرف معناه .

كما أنك ارتبطت بفتاة تتناسب ظروفها مع ظروفك .

- إننى أحب (نهى) .. ولا دخل لأى ظروف عدا هذا الحب فى ارتباطى بها ..

- وماذا عن ابنة خالتها ؟ هل هى مرتبطة بشخص ما ؟

- لماذا تسأل هذا السؤال ؟

- أظن أن فتاة مثلها يمكن أن تناسبنى .

- ولكنى أعترض على ذلك .

- تعترض .. لماذا ؟

- بصراحة لأن طريقتك فى التفكير تقلقنى .. ولا أريد لابنة خالة الفتاة التى أنوى الارتباط بها ، أن تكون هدفًا لأطماعك ، وأن يكون سعيك وراء التقارب معها ، سببه ثراء أسرتها فقط .

- وما يدريك .. ربما أحببتها ؟

- أمثالك لا يفقهون شيئًا عن الحب .

- لكن .. لم يكن هذا هو اتفاقنا .

- أى اتفاق ؟

- لقد طلب منى (وليد) أن أحاول التقارب إلى إحدى الفتاتين اللتين ستصحبان صديقتيكما ، حتى يتهيأ لكما الجو المناسب لقضاء أطول وقت معهما ، وقد قبلت القيام بهذه الخدمة ، مقابل أن يكون لى الحق فى اختيار إحدى الفتاتين .

وبالطبع .. فقد كنت تعلم بهذا الاتفاق .

قال له (سمير) بضيق :

- أولاً : (نهى) ليست صديقتى .. بل خطيبتى ولا بد أن تتحدث عنها بهذه الصفة .

ثانيًا : إننى لا أسعى للتسلية مثل (وليد) ، ولا مشكلة لدىَّ مع أسرتها ، إذا ما رغبت فى الخروج معها وقضاء بعض الوقت بمفردنا .. فلا تحاول استغلال الموقف .

قال (رائف) ممازحًا :

- بل ستكون لديك مشكلة ، إذا ما فرضوا عليك وجود ابنتهما بصحبة خطيبتك حتى لا يكون انفرادك بها كاملاً .

وليس هناك ما هو أسوأ من وجود (عزول) مع المحبين .

هزَّ (سمير) كتفيه وهو يتراجع قائلاً :

- على أية حال .. لن يكون لى حق التدخل ، إذا ما وجدت أن (مها) تشعر بميل نحوك .

ابتسم (رائف) قائلاً :

- آه .. هكذا يكون الكلام .. اسمها (مها) .. يا له من اسم لطيف !

وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً :

- لكن .. ماذا عن الفتاة الأخرى ؟

- (سوزى) ؟ لا بد أنك قد رأيتها بصحبة (وليد) من قبل .

- نعم .. أظن أننى قد رأيتها مرة أو اثنتين .. إننى أتحدث عن أختها .

قال له (سمير) متبرمًا :

- يمكنك أن تسأل (وليد) عن ذلك .

ابتسم (رائف) قائلاً :

- إذا كان بها من المميزات ما يفوق ابنة خالة خطيبتك ، فسوف أرحب بمصاحبتها طوال مدة الرحلة .

- حسن .. إننى أتمنى ذلك .

- سيكون هذا من سوء حظك .. لأننى لا أظن أن (عادل) سيكون رفيقًا مناسبًا لابنة خالة خطيبتك .. وسيحول هذا بينك وبين أن تنعم بالوقت الذى تأمله مع خطيبتك خلال هذه الرحلة .

★ ★ ★

٢ - خدمة عاطفية ..

قال (وليد) لـ (عادل) متوددًا :

- إننى سعيد بمشاركتك لنا هذه الرحلة .

ابتسم (عادل) قائلاً :

- وأنا أكثر سعادة لحرصك على مرافقتى لكم .

قال له (وليد) متحرجًا :

- فى الحقيقة يا (عادل) .. إننى لا أهدف من وراء مشاركتك لنا هذه الرحلة مجرد الصحبة فقط .. لكنى أهدف لأمر آخر أيضًا .

- وما هو ؟

- سأمنحك الفرصة لكى تتعرف فتاة جميلة خلال هذه الرحلة .

نظر إليه (عادل) بدهشة قائلاً :

- فتاة ؟!

- نعم .. فتاة .. فتاة تتعرَّفها كما يسعى كل شاب إلى التعرف بفتاة يتودد إليها وتتودد إليه .. ويحدث بينهما .....

قال له (عادل) مقاطعًا :

- (وليد) .. ماذا تقول ؟

- بصراحة .. أنا غير راضٍ عن حالتك هذه .

- ولكنى بخير والحمد لله .. ولا أشكو من شىء .

- ليس من الضرورى أن تشكو .. ولكنى أحس بك .. ألسنا صديقين ؟

- بالطبع .. لكنى مازلت لا أعرف ما الذى لا يرضيك بشأنى ؟

- (عادل) ، أيمكنك أن تخبرنى كم عمرك الآن ؟

قال (عادل) وهو مستغرب من حديث صديقه :

- ثمانية وعشرون عامًا .. ولكن لماذا ؟

- ثمانية وعشرون عامًا .. ونحن أصدقاء منذ عشر سنوات تقريبًا .. ولم أرك خلالها برفقة فتاة ، أو تتحدث عن صداقتك لفتاة ، أو حتى تحاول أن تتودد لفتاة .

أطلق (عادل) زفرة قصيرة ، وقد اكتسى وجهه بمسحة من الحزن قائلاً :

- بل حاولت .. ولكنى كنت أفشل دائمًا .. فلست ثريًا ولا وسيمًا لكى أحوز إعجاب الفتاة التى أتمناها .

وأظن أننا قد تحدثنا عن هذا الأمر من قبل .. فأنا ليس لى حظ مع الجنس الآخر .. وقد أصبحت قانعًا بذلك .

قال له (وليد) وكأنه يصطنع الاحتجاج :

- كلاً .. عليك ألا تقتنع بذلك .. وألا تستسلم لفكرة الحظ السيئ والإحساس بالنقص الذى يسيطر عليك .

عليك أن تبذل قدرًا من الجهد ، وألا تتراجع سريعًا كلما وجدت شيئًا من التدلل من الطرف الآخر .

فهذه أمور تعرفها جيدًا .. وتحتاج إلى خبرة مع بنات حواء .

ابتسم (عادل) بمرارة قائلاً :

- تدلل ؟! لست بمثل هذه السذاجة لكى أتبين التدلل من الرفض .. إننى لم أنجح مطلقًا فى أن أحوز إعجاب أية فتاة سعيت للتعرف بها .

- لأن لك نفسًا قصيرًا ... والتودد إلى الفتيات يحتاج إلى جد ومثابرة ونفس طويل .

ثم .. فلنفترض أن فتاة قد رفضتك أو أنك فشلت فى التودد إلى فتاة ما .. هل يعنى هذا أن تفقد ثقتك بنفسك ، وأن تبتعد تمامًا عن الجنس اللطيف ، خوفًا من الفشل مرة أخرى ؟

لو فعل كل شاب مثلك هكذا .. لما كان هناك ارتباط .. وعواطف .. وحب وزواج ، وأشياء من هذا القبيل .

أنا مثلاً .. فشلت فى الارتباط بأكثر من فتاة من قبل .. ولم أستطع أن أحوز إعجاب الكثير من الفتيات اللاتى أعجبت بهنَ .. لكن هذا ....

قاطعه (عادل) قائلاً :

- (وليد) .. أشكرك على محاولتك للرفع من روحى المعنوية .. ولكنى أؤكد لك أننى لست بحاجة لهذا .

فكما سبق وأن أخبرتك .. فإننى لا أشكو من شىء .. وأنا قانع بحياتى هكذا .

- لكنى غير مستريح لأن أراك هكذا .

قال (سمير) متدخلاً فى الحديث :

- بصراحة لقد عقدنا العزم على أن نعرفك بفتاة .

نظر (عادل) إلى (وليد) قائلاً :

- أهى نفس الفتاة التى أخبرتنى بأمرها الآن .

قال له (وليد) مرتبكاً :

- آه .. فى الحقيقة .. إنها ليست فتاة واحدة .. بل اثنتين .

نظر (عادل) إليه باستغراب قائلاً :

- فتاتين .. أتريدان منى أن أصاحب فتاتين ؟

قال (سمير) وهو مرتبك أيضًا :

- كلا .. فى الحقيقة .. إنك ستتعرف واحدة منهما .

- ما معنى هذا الكلام ؟ هل تريدان أن توقفا فتاتين أمامى لأنتقى واحدة منهما كى أصاحبها فى أثناء الرحلة ؟

قال (وليد) :

- شىء من هذا القبيل .

نظر (عادل) إليهما وقد ازدادت دهشته قائلاً :

- (وليد) .. (سمير) .. هل أنتما فى حالتكما الطبيعية ؟

تدخل (رائف) فى الحديث قائلاً :

- لماذا هذا اللف والدوران ؟ لِمَ لا تخبرانه بالحقيقة ؟

بصراحة إن الغرض الأساسى من هذه الرحلة ، هو إتاحة الفرصة لصديقينا العزيزين ، لكى يقضيا أوقاتًا سعيدة مع الفتاتين اللتين يحبانهما .

فلا بد أنك تعرف أن (سوزى) و(نهى) ستكونان موجودتين فى الغردقة خلال هذه الرحلة .

ردّ (عادل) .

ـ نعم .. ولكنى مازلت لا أفهم ما علاقة هذا بى ؟

قال (رائف) :

ـ تروَّ قليلاً وسأشرح لك .

قال له (وليد) محذرًا :

ـ (رائف) .....!

لكن (رائف) لم يأبه لتحذيره قائلاً :

ـ لا بد أن تكون كل الأمور واضحة منذ البداية .

ثم أكمل حديثه قائلاً لـ (عادل) :

ـ و (سوزى) و (نهى) لن تكونا بمفردهما ، لكن ستصحبهما فتاتان أخريان : الأولى ابنة خالة (سوزى) ، والثانية أخت (نهى) .

وبالطبع سيكون فى وجودهما ما يعوق حرية صديقينا العزيزين ورغبتهما فى قضاء وقت ممتع مع الفتاة التى يحبها كلٌّ منهما .

لذا وقع علينا الخيار ، لكى نتولى أمر الفتاتين الأخريين ، وأن نشغلهما طوال الوقت حتى يخلو الجو لصديقينا .. هل فهمت ؟

هزّ (عادل) رأسه وقد تجهم وجهه قائلاً :

ـ نعم فهمت .

واستطرد قائلاً لـ (وليد) :

ـ ولهذا أصررت على أن أرافقكم فى هذه الرحلة .

ـ (عادل) .. هل أغضبك هذا ؟

تدخل (سمير) :

ـ ولماذا الغضب ؟ إنها فرصة لكى نقضى جميعًا وقتًا طيبًا فى مكان رائع بصحبة فتيات جميلات .. ولا أرى غضاضة فى ذلك .

قال (رائف) ضاحكًا :

ـ كما أنها خدمة نؤديها لصديقينا أيضًا .

ثم لكزه فى جَنْبِه قائلاً بخبث :

ـ لكنها خدمة لذيذة .. أليس كذلك ؟ أنا عن نفسى لا أرى أية غضاضة فى ذلك .. وأنا مستعد دائمًا لتقديم هذا النوع من الخدمات .

قال (عادل) وقد ارتسمت على وجهه ملامح التوتر :

ـ لكنى لا أصلح للقيام بهذا الدور .

قال (سمير) :

ـ لاَ تكن ثقيل الظل .. ولا داعى لأن تأخذ الأمور بحساسية .. إننا لا نهدف إلا لقضاء وقت لطيف .

قال (عادل) وقد علت نبرة صوته :

- انتم لا تفهمون شيئًا .. أنا لن أستطيع تقديم أى عون لكم فى هذا الشأن ، فأنا أعرف أننى لن أنال إعجاب أى من الفتاتين .

كان يتعين عليكما أن تختارا شخصًا آخر أقدر منى على القيام بهذه المهمة .

قال (رائف) بضيق وهو يعقد ذراعيه أمام صدره :

- ألم أقل لكما ! إنه شخص معقد .. ولا يصلح للقيام بهذا الدور .

قال (وليد) لـ (رائف) محتدًا :

- اصمت .. أنت !

ثم خفف من لهجته قائلاً لـ (عادل) :

- لماذا تقلل من قدر نفسك على هذا النحو ؟

- أرجوك يا (وليد) . لا أريد الاستطراد فى هذا الأمر .

قال (سمير) :

- إننى أفهمك جيدًا يا (عادل) .. أنت حساس أكثر من اللازم .

لذا تخش من تأثير الفشل على مشاعرك وكرامتك كما حدث من قبل .

المشكلة أنك تتعامل مع هذا الأمر ، كما لو كنت مقبلاً على اختبار .

اختبار سبق وأن فشلت فيه من قبل .. فأصبحت تخشى المزيد من الفشل ، مع أن الأمر أبسط من ذلك .

قال (عادل) منفعلاً :

- سهل عليك أن تقول ذلك .. لأنك لم تذق طعم الفشل من قبل .

إنك من أسرة ميسورة الحال .. تتميز بالوسامة واللباقة .. ولديك كل المقومات التى تجعلك مرغوبًا من الفتيات .

وكذلك (وليد) .. و (رائف) .. كل منهما يمتلك قدرًا من أشياء كثيرة حرمنى الله منها .

هل جرب أحدكم أن يرى نظرة استخفاف أو اشمئزاز أو سخرية فى عيون كل فتاة حاول أن يتقرب منها وأن يتودد إليها ؟

هل جرب أحدكم أن يحاول الاقتران بأكثر من فتاة ، ويلاقى فى كل مرة الرفض ، بمجرد أن تقع عيناها عليه ، وبدون حتى محاولة التعرف إلى هذا الشخص الذى يرغب فى الاقتران بها ؟

هل يعرف أحدكم معنى أن يكره صورته فى المرآة ؟

قال (وليد) وهو يشعر بالأسف من أجل صديقه :

- أستغفر الله .. لا تقل هذا فلا دخل لنا فى خلقتنا .

قال (عادل) :

- أستغفر الله العظيم .. أعرف ذلك ، لكن الله يرحم امرءًا يعرف قدر نفسه .

قال (سمير) :

- ما زلت أرى أنك تضخم المشكلة باستسلامك لهذا الإحساس .

وأنه يتعين عليك أن تكون أكثر ثقة بنفسك من هذا .

وقال (رائف) :

- أما أنا فأظن أنه صادق مع نفسه .

قال (وليد) :

- على أية حال .. لقد جئنا إلى الغردقة من أجل قضاء رحلة سعيدة فى المقام الأول .. ولست ملزمًا ..

لكن (عادل) قاطعه قائلاً :

- أظن أن (سمير) على حق وأنه يتعين علىَّ ألاَّ أبقى مستسلمًا لهذا الإحساس إننى سأحاول التعارف مع إحدى الفتاتين .

وابتسم بسخرية مستطردًا :

- من يدرى ؟ ربما نلت إعجابها ؟

ابتسم (وليد) قائلاً :

- حقًا ؟

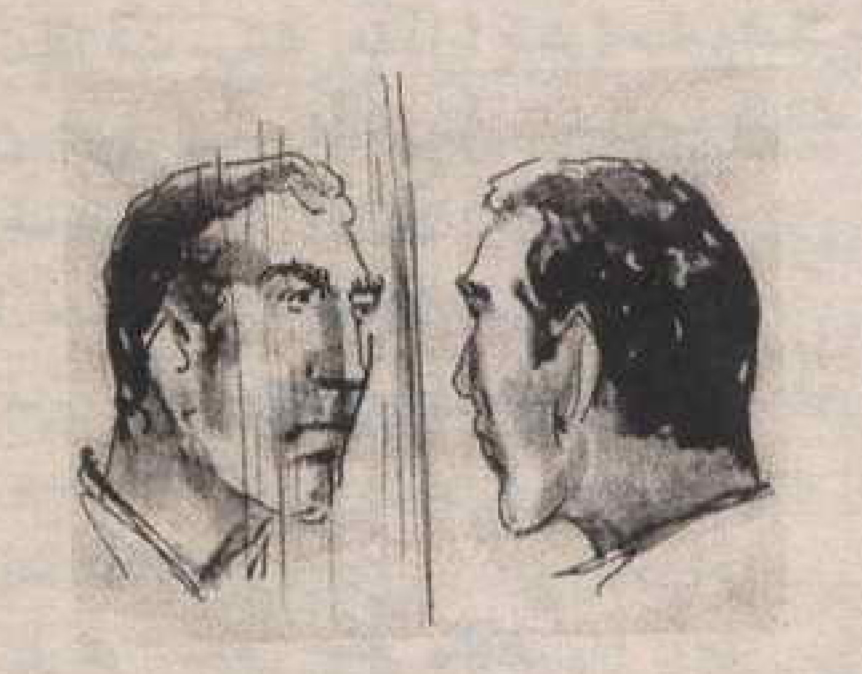
وقال (رائف) :

- ستكون هذه من عجائب الأمور .

بينما قال (سمير) مشجعًا :

- هكذا تكون أفعال الرجال .

★ ★ ★



٣ - دعنى وشأنى ..

هتف (سمير) قائلاً :

- ها هن أولاء قد جئن .

ارتبك (عادل) لدى رؤيته للفتيات الأربع وهنَّ مقبلات نحوهم فهمس لـ (وليد) قائلاً :

- لا أظن أننى سأنجح فى ذلك .

قال له (وليد) مشجعًا :

- لماذا أنت مرتبك هكذا ؟ إنك لست مقبلاً على امتحان عسير أو معركة حربية .. كل ما هنالك أنك ستتعرف فتاة .

قال له (عادل) متلعثمًا :

- نـ .. نعم .. معك حق .. يتعين علىَّ أن آخذ الأمر ببساطة .

بينما قال لنفسه :

- بل هو امتحان عسير بالفعل .

نظر (رائف) إلى إحداهن قائلاً لـ (سمير) :

- أظن أن هذه هى ابنة خالة خطيبتك .. فقد رأيتها معها من قبل .

- نعم .. إنها هى .

ابتسم (رائف) قائلا :

- حسن .. أظن أن هذه هى الفتاة التى تناسبنى .. فهى جميلة ومن أسرة ثرية .

رحب الأصدقاء الثلاثة بالفتيات ، حيث قدمهنَّ (وليد) إلى (عادل) الذى صافحهن بيد مرتجفة .

وسرعان ما تآلف (رائف) مع الفتاة التى اختارها بفضل جرأته وأسلوبه المرح .

بينما نظر (عادل) إليه وهو يتمنى أن يكون لديه مثل هذه الجرأة وذلك القبول الذى يحظى به صديقه ..

ووجد كل صديق من أصدقائه يسير بجوار فتاته ، محاولاً الانفراد بها عن الآخرين .

بينما كان عليه أن يسرع الخطى ، ليسير بجوار الفتاة التى كان عليه أن يتودد إليها .

لم يغفل (عادل) عن رؤية نظرة الامتعاض فى عينيها ، حينما أحست بأنه يتعين عليها أن ترافقه .. مما زاد من ارتباكه .

لكنه أصرّ على التغلب على خجله وإحساسه بالنقص ، فحاول التحدث إليها قائلاً :

- ما اسمك ؟

قالت له وهى ترمقه بنظرة متعالية :

- ألم يخبرك به صديقك منذ لحظات ؟

قال لها متلعثمًا :

- بـ .. بلى .. أظن .. أنه ...

قالت له وهى تحدقه بنظرة استخفاف :

- (شيرين) .

سألها قائلاً وهو يحاول أن يستجمع شجاعته :

- هل هذه هى المرة الأولى التى تأتين فيها إلى الغردقة ؟

أجابته وهى تنظر أمامها دون أن تلتفت إليه قائلة :

- بل جئت إلى هنا مرتين من قبل .

- أما أنا .. فهذه هى المرة الأولى .. لكن يبدو أن المكان هنا رائع .

قالت له بلا مبلاة :

- نعم .

ظلا صامتين لبضع دقائق ، دون أن يجد (عادل)

ما يقوله .. خاصة وأنها لم تبد أى تشجيع نحوه يحفزه على الكلام .

وأحسّ (عادل) بالحرج ، خاصة وأن أصدقاءه الثلاثة كانوا مندمجين فى الحديث تمامًا مع الفتيات اللاتى يصاحبونهن .. وقد تعالت ضحكاتهم ، ووضح استمتاع كل منهم بصحبة الآخر .

حاول أن يدير حوارًا مرة أخرى مع رفيقته قائلاً بتلعثم :

- إننى .. إننى .. سعيد بالتعرف إليك .

قالت له وهى تنظر إليه باستخفاف :

- حقًا .

ازدرد لعابه وقد آلمته تلك النظرة المستخفة قائلاً :

- بالطبع .. إننى .. إننى ...

لكنها قاطعته قائلة بضيق :

- معذرة .. لقد تذكرت أمرًا مهمًا .. ويتعين علىّ أن أعود إلى المنزل الآن .

وسرعان ما اعتذرت للجميع باضطرارها للانصراف الآن .. وقد تركت (عادل) واقفًا بمفرده وهو فى حالة من الارتباك الشديد .

قالت لها أختها :

ـ لكننى لا أتذكر أن هناك ما يضطرنا للعودة الآن .. كما أننا لم نبدأ نزهتنا بعد .

قالت لها (شيرين) :

ـ تستطيعين أن تواصلى أنت نزهتك لو أردت .. أما أنا فلا بد أن أعود إلى المنزل الآن .

سألتها أختها قائلة :

ـ هل حدث شىء ؟

قالت لها بضيق :

ـ لم يحدث شىء .. لكننى أريد العودة إلى المنزل الآن .

اضطرت أختها للاعتذار بدورها ، ومرافقتها إلى المنزل ، مما أصاب (وليد) بخيبة الأمل .

وفى الطريق سألتها (سوزى) بغضب قائلة :

ـ لماذا تصرفتِ على هذا النحو الذى يخلو من اللياقة ؟

قالت لها أختها وهى تبدى استياءها :

ـ لم أكن لأتحمل هذا الشخص الدميم ، الذى اضطررتمونى لمرافقته أكثر من ذلك .

ـ إنه ليس سيئًا إلى هذا الحد .

ـ حقًا ؟ إذن لماذا لم ترافقيه أنت ؟

قالت لها (سوزى) بغضب :

ـ أنت تعرفين أننى سعيت للحضور إلى هنا .. من أجل الالتقاء بـ(وليد) ، وكان يتعين عليك أن تتحملى صديقه هذا لأجلى .

قالت لها (شيرين) محتجة :

ـ وما ذنبى أنا ، فى مصاحبة شخص ثقيل الظل كهذا طوال الوقت ، بينما كل منكن تحظى بصحبة لطيفة ؟

ـ آه .. كنت تفضلين إذن لو حظيت برفقة شخص مثل (رائف) .

ـ على الأقل إنه يبدو ظريفًا .. ولطيفًا .. ويتمتع بمظهر جذاب .

ـ لكن .. ماذا تفعلين إذا كان اختياره قد وقع على فتاة أخرى ؟

ـ إنها لا تفوقنى جمالاً على أية حال .

ـ لكنه اختارها هى ، كما أنه من الواضح أنه لاقى قبولاً لديها .

ـ أما أنا فلا أشعر بأى قبول تجاه ذلك الشخص ، الذى تريدون أن أضطر لمرافقته .

كما أن الأمر كله يبدو بالنسبة لى سخيفًا .

إذا كنتى تحبين (وليد) ، وترغبين فى الالتقاء به ، وقضاء أطول وقت ممكن معه خلال وجودنا فى الغردقة .. فلماذا لا تفعلين ذلك دون أن تضطرينى لمرافقة صديقه ؟

- لأنك تعرفين أن بابا وماما لن يوافقا على خروجى بمفردى لأطول وقت ممكن ، بعيدًا عن رقابتهم .. إلا بمرافقة أختى الكبيرة التى هى أنت .

- إذن يمكننى أن أنتظرك فى أى مكان ، ريثما تنتهين من مقابلاتك هذه .. ثم نعود معًا إلى المنزل ، بعد أن نتقابل فى موعد محدد .

- إن الغردقة ليست كبيرة بحيث يمكننا تدبير ذلك طوال الوقت .

ثم لماذا لا تتحملين مرافقتك لهذا الشاب لبعض الوقت ، طالما أن الأمر يقتصر على السير والجلوس فى بعض الأماكن والحديث ؟

إنك على أية حال لن تحبينه ولست مضطرة للارتباط به إلى ما لانهاية .

- المشكلة فى أنه لا يفتقر إلى الوسامة فقط ..

لكنه يفتقر أيضًا إلى اللباقة ، وتبدو مرفقته مملة للغاية .

قالت لها أختها متوسلة :

- لأجل خاطرى يا (شيرين) .. تحمليه قليلاً .. فأنا لأخفى عليك أننى برغم حبى لـ (وليد) إلا أننى لا أثق به كثيرًا .. ولا آمن على نفسى أن أرافقه بمفردى .

إننى أهدف من خلال هذه الرحلة ، إلى التأكد مما إذا كان جادًا فى ارتباطه بى أم لا .. وأريد منك أن تساعدينى على ذلك .

تنهدت أختها قائلة :

- حسن .. سأحاول .

★ ★ ★

كان (عادل) قد سبقهم فى العودة إلى الشاليه ، الذى يستأجرونه ، وهو فى حالة نفسية سيئة .

حينما لحق به (وليد) قائلاً :

- ما الذى حدث ؟

قال له (عادل) وهو يبتسم بمرارة :

- الذى حدث .. هو ما توقعته منذ البداية .. فأنا

لم ألق قبولاً لدى أخت صديقتك .. مما اضطرها لأن تفسد عليكما نزهتكما .

قال له (وليد) محاولاً تخفيف الأمر .

- لا داعى للمبالغة .. ربما كان هناك ما اضطرها إلى العودة لمنزلها بالفعل ..

نظر إليه (عادل) قائلاً :

- لا تحاول أنت أن تهوّن من الأمر .. فقد أدركت منذ الوهلة الأولى ، أن الفتاة قد تضايقت لأنها اضطرت لمصاحبتى .

على أية حال ... أنا آسف لأننى أفسدت عليك رفقتك .. لكنك أسأت اختيار الصديق الذى يساعدك فى هذا الشأن .

ربّت (وليد) على كتفه وهو يبتسم قائلاً :

- إن حساسيتك الزائدة هذه هى ....

لكن (عادل) قاطعه قائلاً :

- أرجوك يا (وليد) .. لا داعى لأن تقول أى شىء ... كما أننى لست بحاجة لكلمات تخفف عنى وقع ما حدث اليوم .

لقد جئت إلى هنا .. من أجل قضاء وقت ممتع فى

هذا المكان الجميل .. أما ماعدا ذلك ، فهو مجرد أمور ثانوية يتعين عدم الالتفات إليها .

ولكن يتعين عليك إذا ما كنت مصرًا على اللجوء لهذه الوسيلة التى استخدمتنى من أجلها ، لكى تنفرد بصحبتك للفتاة التى تحبها ، أن تبحث عن شخص آخر سواى لمساعدتك فى ذلك .

- ولكنى واثق من أنك تستطيع مساعدتى فى ذلك .

وجلس إلى جواره وهو يستطرد قائلاً :

- اسمع يا (عادل) .. لو كان الأمر قاصرًا على حاجتى لمساعدة صديق ، لكى تتاح لى الفرصة لقضاء بعض الوقت مع (سوزى) لما كانت هناك مشكلة .

إذ كان يمكننى الاستعانة بأى صديق آخر .. أو حتى تدبير الأمر دون حاجة للاستعانة بأى شخص .

لكنى أحاول مساعدتك أنت أيضًا .. مساعدتك فى التغلب على عدم ثقتك بنفسك .

احتد (عادل) قائلاً :

- لست بحاجة لمساعدة أحد .. وأرجوك يا (وليد) ألا تلح علىّ فى هذا الأمر .. لأنه أصبح يضايقنى .

* * *

٤ - أحـــلام حبـــى ..

دخـل (فريـد) إلـى كافيتريـا الفنـدق ، وقـد أخـذت عينـاه تبحثـان بيـن الموائـد عـن الفتـاة التـى جـاء لملاقاتها .

وما لبث أن ابتسم حينما وقعت عيناه عليها ، فى أحد أركان الكافيتريا .

بادلته الابتسامة وهى تلوح له بيدها .

وسرعان مـا اندفـع نحوهـا ، وفـى عينيـه لهفـة واضحة ، ليمسك بمرفقيها قائلاً :

ـ (دعاء) .. إننى لا أصدق نفسى .. متى جئت إلى الغردقة ؟

جلست أمامه وهى تتأمله بعينين تشعان حبًا قائلة :

ـ بالأمس فقط .

قال لها محتجًا :

ـ بالأمس .. ولم تتصلى بى أو تحاولى مقابلتى إلا اليوم ؟!

ـ لقد اضطرتنى الظروف لذلك .. فالطائرة التى أعمل عليها تأخرت فى الإقلاع بسبب عطل طارئ ، ووصلنا إلى الغردقة فى ساعة متأخرة من الليل .

كما أننى بذلت جهدًا كبيرًا لتعرف مكان الفندق الذى ينزل به الفوج الذى تعمل مرشدًا له .

وما إن أتيحت لـى الفرصـة ، وتمكنت من تعرف مكان الفندق والغرفة التى تنزل بها ، حتى سارعت بالاتصال بك .

ابتسم (فريد) وهو يمسك بيدها ليقبلها قائلاً :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتى .

قالت له وهى تتأمله بشوق جارف :

ـ لقد أوحشتنى جدًا يا (فريد) .

ـ وأنت أيضًا .. لقد كنت أفتقدك للغاية .

ـ لكن ما رأيك فى هذه المفاجأة ؟

ـ مفاجأة رائعة بالطبع .. كم يومًا ستقضينها هنا ؟

ـ كم يومًا .. إننى سأسافر إلى القاهرة هذه الليلة .

ـ هذه الليلة !! لكنك وصلت بالأمس فقط .. وهذا وقت قصير جدًا .

ـ أنت تعرف أن ظروف العمل تفرض علينا ذلك .

- أظن أننى سيئ الحظ لأننى أحببت مضيفة طيران .

ابتسمت (دعاء) قائلة :

- على أية حال .. إننى ملتزمة باتفاقى معك .. وسأعتزل هذا العمل بمجرد أن نتزوج .

- إذن سيتعين علىّ أن أبقى فى هذا الحرمان ، ولا أحظى منك إلا بساعات قليلة عابرة ، نلتقى خلالها إلى أن نتزوج .

ضحكت (دعاء) قائلة :

- حاول أن تسرع بالزواج إذن .

- أنت تعرفين أننى أحلم بهذا اليوم يا (دعاء) .. وأبذل كل جهدى من أجل أن يتحقق .

قالت له معاتبة :

- لكن ليس بالقدر الكافى .. فقد طالت خطبتنا بأكثر مما يجب ، دون أن نقطع خطوات جدية فى سبيل الزواج .

- إننى أسعى لتوفير الإمكانيات المناسبة لزواجنا .

- لكن إمكانياتنا مناسبة بالفعل يا (فريد) .. فلديك شقة كبيرة فى مكان راقٍ .. وراتبنا والحمد لله مرتفع على نحو يسمح بالزواج وتكوين أسرة .

- لا يا (دعاء) .. أنت لا تستحقين مجرد معيشة متوسطة .. فراتبى وراتبك لن يحققا لنا الحياة التى أحلم بها لك .

إنك تستحقين ما هو أكثر من ذلك .

- لكنى راضية بحياة بسيطة تجمعنى معك .

- أما أنا فلا أرضى لك بأقل من حياة ميسورة .. تنعمين فيها بكل ما تتمنينه .

- يمكننا أن نبدأ معًا بحياة بسيطة لنكبر معًا ، ونحقق أحلامنا ونحن معًا .

- دعك من هذا الكلام الذى لا يصلح إلا للروايات .

من يبدأ صغيرًا يبقى صغيرًا .. ومن يبدأ كبيرًا يظل طوال حياته كبيرًا . هذه هى الحقائق التى علمتها لنا الحياة .

- لا أظن أن رأيك هذا صحيح .. ومع ذلك فإذا سلمت به ، هل تخبرنى كيف سيتسنى لك تحقيق هذه الأحلام التى تتحدث عنها فى الوقت الحالى ؟

- بالتجارة .. إن التجارة هى التى تعطى المكاسب الحقيقية .. وأنا قررت أن أعمل مشروعًا تجاريًا بسيطًا ، كبداية للتوسع فى أعمال تجارية أكبر سأنتقل بفضلها إلى مصاف رجال الأعمال .

- وعملك الحالى ؟
- سأتركه .. إن وظيفة المرشد السياحى لم تعد مناسبة لطموحى .
- أخشى أن تكون هذه مخاطرة من جانبك .. فأنت تتقاضى راتبًا كبيرًا من عملك هذا و ...
قاطعها قائلاً :
- إن هذا الراتب الكبير الذى تتحدثين عنه ، لا يساوى شيئًا فى مقابل أرباح صفقة تجارية واحدة .
- هل هذا المشروع متعلق بتجارة الجلود التى حدثتنى عنها من قبل ؟
- نعم .. وقد عقدت العزم على تنفيذه بمشاركة أحد الأشخاص .
- إذن .. فعلىّ أن أنتظر حتى يبدأ مشروعك .. ثم تحسب الربح المتحصل لك من ورائه .. لتخوض فى مشروع آخر .. وهكذا .. لنبقى سنوات وسنوات معطلين مشروع زواجنا ، حتى تنجح مشاريعك التجارية .
ابتسم قائلاً :
- كلاً .. لن يصل الأمر إلى هذا الحد .. أعدك بأننا سنتزوج خلال أشهر قليلة .

فقط بمجرد أن أبدأ فى تنفيذ هذا المشروع ..
قالت له بنبرة متوسلة :
- (فريد) .. إننى أحبك .. ولا يعنينى من هذا الأمر إلا أن أكون زوجتك تأكد أننى لا اهتم كثيرًا بهذا الثراء الذى تتحدث عنه .. ولا بتلك الحياة المرفهة التى تصفها لى ، قدر اهتمامى بأن نكون معًا فى بيتٍ واحد .
قال لها وهو يحتضن يديها بين يديه :
- وأنت تعرفين مقدار حبى لك .. وأن ما تتحدثين عنه هو حلمى الأكبر .
- أرجو ألا يظل حلمًا .
- إنشاء اللّه سيكون واقعًا جميلاً .. وبأكثر مما حلمنا به .
ونهض فجأة وهو يمسك بيدها قائلاً :
- والآن دعينا لا نضع الوقت .. فالساعات المتبقية على سفرك قليلة ، وعلينا أن نستمتع بكل دقيقة فيها .
ابتسمت قائلة فى دهشةٍ :
- ولكن إلى أين سنذهب ؟
- سأجعلك ترين أجمل الأماكن فى الغردقة .
- لكن .. ماذا عن عملك ؟ أنت مرتبط بفوج سياحى يتعين عليك مرافقته هنا ؟

قال لها وهو يجذبها معه خارج الكافيتريا :
ـ لا شأن لك بذلك .. سأكلف أحد زملائى بأن ينوب عنى فى مرافقة الفوج السياحى .
ضحكت قائلة :
ـ حسن .. ولكن لا تؤخرنى .. لأننى لابد وأن أكون فى المطار بعد خمس ساعات .
قال لها وهو يلف ذراعه حول كتفها :
ـ خلال هذه الساعات الخمس ، سنكون قد شاهدنا أجمل المواقع فى الغردقة .. وسأعزمك على أكلة سمك لا تحلمين بها .
قالت له (دعاء) وهى تلقى برأسها على كتفه .
ـ ليس هناك ما هو أجمل من أن أكون برفقتك .
★ ★ ★
قالت له وهو يودعها :
ـ أشكرك يا (فريد) .. لقد جعلتنى أقضى وقتًا رائعًا حقًا اليوم .
قبل يدها قائلاً ، ونظرة حنان غامرة تتدفق من عينيه :
ـ سيكون لدينا أوقات أكثر روعة فى المستقبل .

ـ متى سنلتقى ؟
ـ من المنتظر أن أعود مع الفوج السياحى إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام ، وسأتصل بك بمجرد عودتى .
ـ أرجو ألا تتأخر فى اتصالك بى .
ـ بل سأحاول الاتصال بك من الفندق .
ـ ستوحشنى يا (فريد) .
قال لها بصوت يشع دفئًا :
ـ هل تصدقين ؟ إننى أشعر بأننى أفتقدك من الآن ..
همست له قائلة :
ـ أحبك .
وضع يده الدافئة على وجنتها وهو يهمس لها بدوره قائلاً :
ـ وأنا أيضًا أحبك .. وإن كنت لا أجد أن هذه الكلمة كافية للتعبير عن مشاعرى .
لوحت له مودعة وهى تمطره بقبلاتها فى الهواء .. وقد هتفت قائلة :
ـ سأنتظر مكالمتك .. لا تتأخر فى الاتصال بى .
ابتسم لها وهو يهز رأسه مؤكدًا اتصاله بها .

وبعد ساعة من انصرافه جلست (دعاء) وهى ساهمة بأفكارها فى مقعدها بالطائرة .

ولاحظ قائد الطائرة شرودها فسألها قائلاً :

- (دعاء) .. ماذا بك ؟

أفاقت من شرودها .. وهى تقول :

- لا .. لا شىء .

ابتسم قائلاً :

- كيف لا يكون هناك شىء وأنت شاردة هكذا ؟

سألته قائلة :

- كابتن (منير) هل يمكننى أن أحصل على إجازة قصيرة ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- إجازة .. فى هذا التوقيت !

- نعم .. إننى أرغب فى الحصول على إجازة لمدة ثلاثة أيام أقضيها فى الغردقة .

قال لها قائدة الطائرة :

- وما سرّ هذا الطلب الغريب .. والطائرة تستعد للإقلاع ؟

- أظن أن حالتى الصحية ليست على ما يرام ، بما

يتعارض مع قدرتى على القيام بعملى على الوجه الأكمل .

نظر إليها بخبث قائلاً :

- حالتك الصحية .. أم العاطفية ؟

نظرت إليه بدهشة تمتزج بالخجل قائلة :

- كابتن (منير) .

ابتسم لها قائلاً :

- هناك أشياء لا يمكن أخفاؤها طويلاً .. من حسن حظك أن لدينا مضيفة احتياطية .. ويمكنك الحصول على الإجازة التى تريدينها .

تهلل وجهها بالفرحة قائلاً :

- أشكرك .. أشكرك جداً .

* * *



٥ ـ المخــــادع ..

أصطحب (وليد) صديقه (عــادل) إلــى قاعــة الرقص بـالفندق ، وقـد ارتسمت علـى وجهـه ملامـح التردد حيث دفعه أمامه قائلاً :

ـ يا أخى .. أدخل وكفاك ترددًا .

قال (عادل) وهـو يحاول التنصل من محـاولات صديقه :

ـ قلت لك إننى لا أريد أن يكون لى شأن بهذا الأمر .. ولا أرغب فى التودد إلى هذه الفتاة مـرة أخرى .

قـال (وليـد) وهـو يمسـك بيـده مصـرًا علــى اصطحابه إلى الداخل :

ـ أؤكد لك .. أنك لو بذلت مزيدًا من المحاولـة فسوف تنجح فى استمالتها إليك .

قال (عادل) محتجًا :

ـ ومن قـال لك إننـى أرغب فى استمالتهـا ؟ لقـد

فشلت فى ذلك من قبل ، وكلكم رأيتم ذلك بأنفسكم .. وأنا لا أريد أن أبدو متطفلاً .

ـ دعك من هـذه الحساسـية المفرطـة .. عليك أن تكون أكثر جرأة وإصرارًا .

ـ لكنى أريد أن أقضى إجازة هادئة .. ولم آت إلى هنا لأحارب فى معركة خاسرة .

ـ إن كل ما أريده منك هو أن تتغلـب علـى عزلتك هذه .. وترى الحياة بمعناها الحقيقى .

هيّا .. دعنا نذهب إليهم فهاهم يشيرون لنا هناك .

استسلم (عادل) لإصرار صديقه ، الذى اصطحبه إلـى المـائدة التـى يجلس إليهـا أصدقــاؤه ، والفتيــات اللاتى يصحبنهم .

حيث هتف (سمير) قائلاً :

ـ أين كنتما حتى الآن ؟

قال (وليد) :

ـ كنت أحاول إقناع صديق لى بألاّ يكتفى بالجلوس فى شرفة غرفته .

ضحك (رائف) قائلاً وهو ينظر إلى (عادل) :

ـ أعتقد أن صديقك هذا يفضل الجلوس فى الشرفات على أى شىء آخر .

قال (سمير) محذرًا :

- (رائـف) .. لا تبدأ فى ممـارسة سخافاتك مع (عادل) .

نهض (رائف) قائلاً :

- حسن .. إننى منسحب .

ثم أشار إلى الفتاة التى برفقته قائلاً :

- هيا بنا لنرقص .

رافقته الفتاة إلى حلبة الرقص .

وما لبث أن غمز (سمير) إلى خطيبتـه بطرف عينيه قائلاً :

- ما رأيك .. هل نرقص مثلهما ؟

هزَّت رأسها بالموافقة .. حيث اصطحبها بدوره ليشاركا فى الرقص .

بينما ابتسم (وليد) لـ (سوزى) وهو يمسـك بيدها قائلاً :

- أما نحن فسوف نجوّل قليلاً .. ثم نعود إليكم .

قالت أختها معترضةً وهى تهب واقفةً :

- وهل ستتركانى بمفردى ؟

- لن نتأخر عنك طويلاً .. ساعة واحدة فقط نجوّل خلالها فى أرجاء الفندق .. ثم نعود إليك .

وغمزت لها أختها قائلة :

- ثم إنك لست بمفردك .. إن (عادل) معك .

أظهرت الفتاة امتعاضها .. وأطلقت زفرة طويلـة تعبر عن استسلامها ، بينما راقب (عادل) انصرافهما وهو يفكر فيما يتعين عليه أن يقولـه للفتـاة الجالسـة بجواره .. وقد أدرك جيدًا أنها لا ترغب فى رفقته .

كانت تحدق فـى المشاركين فـى الرقص أمامهـا ، دون أن تحاول الالتفات نحوه أو الحديث إليه .

فحاول أن يتحدث إليها قائلاً :

- هل قضيت وقتًا طيبًا فى الغردقـة خـلال اليومين الماضيين ؟

أجابته قائلة بلا اكتراث :

- نعم .

مرت بينهما هنيهة من الصمت الثقيل ، حـاول أن يتغلب عليها مرة أخرى .. قائلاً :

- أظن أننى لا أبدو بالنسبة لـك رفيقًا مناسبًا .. وأنك تستثقلين صحبتى .

لكنه رآها منشغلة عنه بالنظر إلى الشاب الجـالس إلى المـائدة المـواجهة لهمـا ، والذى كان يبتسـم لهـا

على نحو جعلها لا تستمع إلى ما قاله .. وقد انحصر اهتمامها بذلك الشاب .

وسرعان ما غادر مائدته متجهًا نحوهما ، وهو يرمق الفتاة بنظرة إعجاب واضحة .. حيث اقترب منهما قائلا لها :

ـ هل تسمحين لى بهذه الرقصة ؟

بدت وكأنها تنتظر هذه الدعوة .. فهبت واقفة فى الحال معلنة له موافقتها ، دون أن تهتم حتى بالاستئذان من (عادل) الذى أصابته حالة من الوجوم ..

أحس (عادل) بأنه شخص غير مرغوب فيه ، واكتسى وجهه بمسحة من الحزن جعلته يسارع بمغادرة المكان ، وقد أحس أن كبرياءه قد جرح جرحًا عميقًا .

★ ★ ★

وفى أثناء ذلك كانت (دعاء) قد حضرت إلى الفندق .. وكلها لهفة وشوق لرؤية (فريد) .

وظلت طوال الطريق تتخيل وقع المفاجأة عليه .. عندما يعلم أنها لم تسافر إلى القاهرة .. وأنها فضلت

البقاء معه فى الغردقة خلال الفترة التى سيقضيها هنا .

سألت موظف الاستقبال قائلة :

ـ من فضلك .. أريد الاتصال بالأستاذ (فريد صبرى) المرشد السياحى والذى ينزل فى الغرفة (١١٩)

أخبرها موظف الاستقبال قائلاً :

ـ لكن الأستاذ (فريد) ليس فى غرفته .. لقد ذهب منذ قليل إلى حمام السباحة .

أتودين أن أرسل أحدًا لاستدعائه ؟

أجابته قائلة :

ـ شكرًا لك .. سأذهب إليه بنفسى .

كانت الأضواء خافتة حول حمام السباحة فى هذه الساعة من الليل ، على نحو صَعَّب من مهمة (دعاء) فى العثور عليه .

وما لبثت أن وجدته جالسًا إلى إحدى الأرائك الإسفنجية في ركن هادئ خافت الأضواء .

وكانت المفاجأة القاسية التى لم تتوقع حدوثها .. هى أنه لم يكن بمفرده .. وإنما كانت بصحبته فتاة .. رأته يحتضنها ويقبلها .

شهقت (دعاء) وقد زلزلت الصدمة كيانها .. وهى تهتف قائلة :

ـ غير معقول :

فانتبه (فريد) وقد فوجئ بدوره لرؤيتها .

وسرعان ما انتفض من فوق الأريكة قائلاً :

ـ (دعاء) !

تحجرت الكلمات فى حلقها وهى تنظر إليه غير مصدقة .

ثم ما لبثت أن حاولت التكلم قائلة :

ـ أنت .. أنت ..

لكنها ظلت عاجزة عن التعبير بما يتناسب مع المشهد الذى رأته .. فتحول عجزها وصدقها إلى عبرات انسابت فوق وجنتيها .

بينما أراد (فريد) أن يبحث عن تبرير لهذا المشهد بدوره .. فلم يجد لكنه حاول التغلب على الموقف قائلاً :

ـ من فضلك يا (دعاء) دعينى أشرح لك .

لكنه أحسّ بالعجز .. فقد كانت خيانته أقوى من أى كلام يقال فى هذه اللحظة .

سألته رفيقته وهى تنظر إلى (دعاء) بدهشة :

ـ (فريد) .. من هذه ؟

نظرت إليه (دعاء) بعينيها المغرورقتين بالعبرات قائلة :

ـ لماذا لاتخبرها ؟ لماذا لاتقل لها بإننى خطيبتك الساذجة ، التى أردت استغلال علمك بسفرها ، لتخونها مع فتاة أخرى بعد ساعات قليلة . من حديثك معى عن أحلام الحب الوردية .. والمشاعر العميقة التى تربط بيننا ؟

لماذا لا تشير لها علىّ وتقول إننى الفتاة الساذجة التى استطعت أن تخدعها ، بكلماتك عنَ الوفاء والإخلاص والمشاعر العميقة التى تربط بيننا .. والتى لم يدر بخلدها مجرد التفكير ولو لحظة واحدة ، فى أنك يمكن أن تخون حبها على هذا النحو ؟

نظرت إليها الفتاة باستغراب قائلة :

ـ خطيبته ؟ وماذا أكون أنا إذن ؟

خفض (فريد) بصره إلى الأرض قائلاً .

ـ (دعاء) .. أنا آسف ...

قاطعته (دعاء) وفى عينيها نظرة تساؤل قائلة :

- ما الذى تعنيه هذه الفتاة بسؤالها هذا ؟

قال لها وقد تملكته حالة من الارتباك الشديد :

- إنها .. إنها .. خطيبتى .

نظرت إليه بذهول قائلة :

- خطيبتك .. لا .. لا .. غير معقول .. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا .

قالت لها الفتاة بتعال :

- ولماذا لا يكون صحيحًا ؟ أيوجد لديك اعتراض على هذا ؟

وجهت (دعاء) حديثها إلى (فريد) قائلة بانفعال :

- (فريد) .. قل أى شىء .. قل إن هذا غير صحيح .. قل حتى إن ما رأيته الآن لم يكن أكثر من نزوة طارئة .

قال لها وهو منكس الرأس :

- بل هو صحيح .. إنها خطيبتى .

قالت له وهى غير مصدقة :

- خطيبتك !! ومن أكون أنا إذن ؟

- لقد حاولت أن أفسر لك الأمر .. حينما التقيت بك .. لكنك ..

قالت له وهى تنتحب :

- تفسر لى الأمر .. لقد كنت تحدثنى منذ بضع ساعات عن أحلامنا معًا وعن خطط المستقبل .. والمنزل الذى سيجمعنا .

كانت كلماتك مفعمة بالحب .. والأحاسيس الصادقة .

وكنا نبدو كأسعد حبيبين .. كيف أمكنك أن تتبدل بمثل هذه السرعة الفائقة ؟

ومتى حدثت هذه الخطبة ؟ وهل أخبرتها بأمر خطبتنا أم لا ؟

متى ؟ وأين ؟ وكيف ظهرت هذه الفتاة فى حياتك ؟

وكيف استطعت أن تؤتى هذه البراعة التى مكنتك من خداعى على هذا النحو ، والتظاهر أمامى بمنتهى الحب والإخلاص ؟

كيف أقنعتنى بنقائك ووفائك لى ، وأنت تمتلك كل هذا القدر من الخداع والخسة والوضاعة ؟

- (دعاء) .. إننى ....

لكنها استمرت فى انفعالها قائلة :

- كيف استطعت أن تمثل معى دور الملاك .. وأنت فى الحقيقة شيطان ؟

أمسك بمرفقها قائلاً :

- من فضلك .. دعينى أشرح لك ..

لكنها لم تحاول أن تسمع شيئًا .. فما رأته وما سمعته كانا أكبر من أية محاولة للشرح أو التفسير .

جذبت مرفقها من يده وسارعت بمغادرة المكان ، وهى تحاول إخفاء العبرات التى غمرت وجهها .. والتى عجزت عن التغلب عليها .

أراد (فريد) اللحاق بها .. لكنه تراجع عن ذلك .. فلم يكن ليملك أى دفاع له عن نفسه فى هذه اللحظة .

بينما تحدثت إليه رفيقته قائلة :

- (فريد) .. هل تفسر لى هذا الأمر ؟

تهالك فوق الأريكة قائلاً :

- لا أظن أننى فى حالة تسمح بأى تفسير .

قالت له الفتاة وهى ترمقه بنظرة غاضبة :

- هل هذه هى الفتاة التى حدثتنى عنها ؟

أطرق برأسه فاستطردت قائلة :

- ألم تخبرنى بأنك قد أنهيت خطبتك لها منذ ثلاثة أسابيع ؟

ألقى برأسه على مسند الأريكة وقد بدأ فى حالة يرثى لها قائلاً :

- أرجوك يا (سحر) .. إننى متعب الآن .

★ ★ ★

٦ - لقاء على الشاطئ ..

ذهب (عادل) إلى الشاليه ، حيث بدأ فى ترتيب حقيبته استعدادًا للسفر .

فقد اتخذ قراره بالعودة إلى القاهرة ، دون أن ينتظر انتهاء الرحلة ، ودون أن يخبر صديقيه .

إنه لم يجنى من هذه الرحلة سوى المتاعب .. فقد نكأت جراحه .. وحركت فى نفسه مشاعر أراد أن يتجاهلها .. لكنها عادت لتفرض نفسها عليه مرة أخرى ..

كان عليه ألاَ يستجيب لما طلبوه منه منذ البداية .. وأن يرفض تعريض كرامته لهذه المهانة ..

أغلق حقيبته بعنف ، وقد تقلصت ملامح وجهه من شدة الألم ، واستدار ليواجه صورته فى المرآة وقد أحس بالغضب من نفسه .. والنفور من وجهه .

نظر إلى وجهه بكراهية وهو يصيح قائلاً :

- دميم .. دميم ! لا يمكن لأحد أن يحبك ..

يتعين عليك أن تعرف قدر نفسك وألا تتجاوزه .. فأمثالك لا يصلحون للحب ولا للعواطف .

يجب عليك أن تقنع بالانزواء بعيدًا عن الفتيات .. وعن الحب .. والمشاعر .

يكفيك أن تحلم بهذه الأشياء ، وأن تبقى محتفظًا بها فى خيالك ، دون أن تحاول تجربتها فى عالم الواقع ؟

لأن لك وجهًا دميمًا .. ومظهرك لا يغرى أحدًا على أن يحبك أو حتى يتعرفك ..

لأنك دميم .. هل فهمت ؟ دميم !

وأمسك بكوب زجاجى على المائدة المجاورة له ، ليطيح به فى المرآة فيهشمها .

ثم تهالك على حافة الفراش ، وهو يلهث من شدة الانفعال .

وعاد لينظر إلى المرآة المحطمة ، وقد أخذ انفعاله يهدأ تدريجيًا ليزول تمامًا .. تأمل صورته من خلال زجاج المرآة المهشم وهو يتساءل .. لماذا فعل هذا ؟

لقد تصرف بدون وعى .. وترك أحاسيسه الجريحة والثائرة تدفعه إلى الإقدام على هذا التصرف الأحمق .

لقد قرر منذ فترة بعيدة أن يتصالح مع نفسه .. ويرضى بنصيبه من الحياة على النحو الذى أراده له الله .

ربما لم يكن بالشخص المقبول من الآخرين .. لكن الله أنعم عليه بنعم أخرى ، عليه أن يشكره من أجلها .

كان إحساسه بالحرمان العاطفى هو مصدر تعاسته دائمًا .

فقد كان أخوه الأكبر أكثر وسامة منه .. ربما لم يكن وسيمًا بدرجة ملحوظة ، لكنه على أية حال لم يكن له وجه دميم كوجهه .

لذا كان دائمًا هو المفضل لدى والديه .. برغم محاولتهما إخفاء ذلك وعندما أصبح شابًا متعطشًا للحب وللمشاعر الدافئة التى يحلم بها كل شاب فى سنه ، صدمته حقيقة أنه لا يحظى بالقبول من الآخرين ، فظل حرمانه كما هو ، لا يجد من يشبعه أو يرويه .

حاول أن يتقرب من بعض الفتيات ، لكنه لم يجد منهنّ سوى التجاهل أو النفور ، وأحيانًا السخرية ..

مما زاد من إحساسه بالنقص ، ودفعه لأن يثور على نفسه .. وعلى خلقته .

كان مفعمًا بالحب والأحاسيس الرقيقة التى أودعها اللَّه فى نفسه ، لكنه لم يجد لها صدىً فى نفوس كل من أراد أن يبثهم هذا الحب ، وتلك الأحاسيس ، فبقيت حبيسة صدره .. أسيرة خيالاته .

ودفعه هذا إلى أن ينطوى على نفسه .. وأن ينزوى بعيدًا عن الآخرين ، مما ضاعف من عدم قدرته على التأقلم بالمحيطين به .

كانت هذه هى أسوأ فترة عاشها فى حياته .. لأنه كان يحب الناس ويحب الحياة .. وتهفو نفسه إلى التفاعل مع أحاسيس ومشاعر الآخرين بالرغم من تجاربه المريرة مع الحياة ومع البشر .

وما لبث أن تغلب على عزلته بعد فترة من الوقت ، وقرر أن يقبل على التعامل مع حقائق الحياة مرة أخرى .. فقرر أن يتصالح مع نفسه ومع الآخرين .

لكنه ظل بمنأى عن العلاقات العاطفية .. وقنع بنصيبه الذى أراده القدر وألاّ يفكر فى الحب والمشاعر التى يعيشها المحبُّون ، فقد أدرك أنه لن يجد هذا الحب فى حياته أبدًا .

فلماذا عاد ليتمرد على نفسه هكذا ؟ وما الذى جعله ينفعل على هذا النحو ؟

لقد عادت المشاعر القديمة ، والتى أراد أن يتجاهلها ، لتصطدم بالواقع مرة أخرى ، بعد أن قنع بأن تبقى فقط فى خيالاته وأحلامه .

عاد ليجد نفسه مرفوضًا .. وذكرته هذه الفتاة بدمامته ، وبهذا الرفض .

وكان اصطدامه بواقعه الكريهه .. هو سبب عودته ليثور على نفسه . لكن عليه الآن ، وبعد أن عادت إليه سكينته ، أن يعود ليتصالح مع ذاته مرة أخرى .

نعم .. إنه يعود إلى القاهرة .. وسيكمل الإجازة معهم هنا فى الغردقة ..

لكنه سينعم بهذه الإجازة على النحو الذى يراه هو .

إجازة بدون فتيات .. وبدون صلات عاطفية من أى نوع .

سيمتع نفسه بالهواء المنعش .. ومياه البحر .. وجمال الطبيعة .. ورفقة الأصدقاء .. وسيلقى بما عدا ذلك وراء ظهره .

هدأت نفسه .. وارتاح لهذا القرار الذى استقر عليه .

فعاد ليفتح حقيبته ويخرج منها ثيابه ليعيدها إلى مكانها فى دولابه مرة أخرى .

ثم غادر الشاليه ، ليقوم بجولة على قدميه بجوار الشاطئ وما لبث أن وقف أمام كتلة صخرية ضخمة تنحدر فوق رمال الشاطئ كان السكون محيطًا بالمكان .. وقد أخذت الأمواج تتلاطم بالقرب من الشاطئ فى رتابة وهدوء .. على نحو أثر فى نفسه كثيرًا .

فاستسلم لجمال الطبيعة فى هذا المكان الخلاب .. ووقف يستنشق نسيم البحر بملء رئتيه .. وقد أحس بارتياح شديد .. وكأن سكينة المكان تتسلل إلى نفسه .

وفجأة سمع صوت بكاء يأتى من مكان ما بجواره .. فأثار هذا انتباهه .

وما لبث أن أصاغ السمع ، محاولاً تحديد مصدر هذا البكاء ، الذى بدا أنه صادر عن امرأة .

كان الصوت قريبًا منه .. لكنه لم يستطع أن يحدد مكانه تمامًا ، بالرغم من الهدوء المحيط به .

وبعد برهة قصيرة ، استطاع أن يعرف أن الصوت صادر من الجانب الأيمن من الصخرة التى يرتكن إليها .. فتوجه نحو مصدر الصوت ، حيث رأى (دعاء) ، جالسة فوق حافة الصخرة ، وقد أخفت وجهها بين راحتيها ، وهى تجهش بالبكاء . فوجئ برؤيتها .. ووقف للحظة مترددًا .

أيحاول أن يسألها ، عما إذا كانت بحاجة إلى مساعدة يمكنه تقديمها لها ؟ أم ينأى بنفسه عن ذلك ويغادر المكان ؟

وما لبث أن قرر الابتعاد .. فاستدار تأهبًا لمغادرة المكان ، لكنه توقف بعد عدة خطوات .

وعاد ليقترب من الفتاة قائلاً وما زال التردد يغلب على صوته :

ـ عفوًا .. ولكن .. لقد لمحتك وأنت تبكين .. فهل يمكننى تقديم أى مساعدة .. إننى .

رفعت (دعاء) وجهها من بين راحتيها لتنظر إليه ... وقد بللت العبرات وجنتيها .. فى حين بدت عيناها محتقنتين بالاحمرار من شدة البكاء .

وبالرغم من ذلك .. فقد بدت جميلة للغاية ، ولم يستطع البكاء أن يخفى جمالها الواضح .

نظرت إليه بدهشة ، وقد فوجئت برؤيته .

سألها قائلاً :

ـ هل تواجهين مشكلة ما ؟

لكنها لم تجبه .. بل سارعت بمغادرة المكان ، وهى تمسح العبرات التى سالت على وجنتيها .

حاول اللحاق بها .. قائلاً :

ـ يا آنسة .. من فضلك .. اسمعينى ..

لكنها اندفعت تركض بكل قوتها فى اتجاه البحر .

نظر إليها بدهشة .. ثم اندفع يركض خلفها .. محاولاً اللحاق بها ، وقبل أن يصل إليها رآها تغوص فى مياه البحر .. وقد بدت مستسلمة تماماً للغرق .

* * *



٧ ـ موقف حرج ..

فتحت (دعاء) عينيها بصعوبة شديدة ، وهى تشعر بصداع شديد فى رأسها :

نظرت فيما حولها ، وقد بدا عقلها معطلاً عن التفكير برهة من الوقت . وسرعان ما تبينت أنها ترقد فى فراش ، داخل حجرة تراها لأول مرة . وقد تدثرت بغطاء صوفى (بطانية) ، أحاط بجسدها من كل جانب . وعندما جذبت الغطاء عنها ، تبين لها أنها ترتدى ثياباً مختلفة عن تلك التى كانت ترتديها .. مما زاد من حيرتها وارتباكها ، فعادت لتجذب الغطاء من فوق جسدها مرة أخرى .

وتنبهت إلى أنها فى حالة غير عادية .. فأخذت تتساءل فى دهشة :

ـ أين أنا ؟ وما الذى حدث لى ؟

وما لبثت أن سمعت صوتاً هادئاً يسألها قائلاً :

ـ هل استيقظت ؟

نظرت إليه فى فزع ، وهى ترفع الغطاء حتى عنقها بحركة غريزية .. قائلة بصوت مرتجف !

ـ من أنت ؟

حاول أن يبدد مخاوفها بابتسامة مطمئنة ، وهو يجلس على حافة الفراش قائلاً :

ـ اسمى (عادل) .. حمدًا لله على سلامتك ..

تراجعت إلى الجهة الأخرى من الفراش ، وهى ترمقه بنظرات مرتابة قائلة :

ـ لقد تذكرتك .. أنت الذى ظهرت لى فجأة من وراء الصخرة .

قال لها بنفس النبرة الهادئة :

ـ فى الحقيقة .. لقد اكتشفت بالصدفة أنك موجودة فى هذا المكان .

قالت له وملامح الخوف مازالت مرتسمة على وجهها .

ـ لقد أفزعتنى .

ـ آسف .. لم أكن أقصد ذلك .. فقد رأيتك تبكين .. وحاولت أن أهدئ من روعك .. لكنك ..

قاطعته قائلة وهى تتلفت حولها :

ـ لكن .. أين أنا .. وما الذى جاء بى إلى هنا ؟

ـ أنت فى الشاليه الذى أنزل فيه .. وقد أحضرتك بنفسى إلى هنا ، بعد أن رأيتك تشرفين على الغرق .

قالت له وهى مضطربة :

ـ لكن .. لماذا أحضرتنى إلى هنا ؟

ـ لم يكن هناك مناص من ذلك .. فقد كنت فى حالة يرثى لها .. وهذا الشاليه كان هو أقرب مكان يمكن أن أحملك إليه ..

ـ لكن هل كنت مشرفة على الغرق حقًا ؟

ـ نعم .. ولا أدرى لماذا فعلت هذا بنفسك ؟

ـ ما الذى فعلته ؟

ـ لقد أردت الانتحار .

قالت له بدهشة :

ـ الانتحار !! لكننى لم أحاول أن أنتحر .

ـ هذا ما رأيته .

قالت له وهى تحاول أن تسترجع ما حدث :

ـ آه .. لقد تذكرت .. كنت أحاول الهرب منك .. وفجأة أحسست بدوار .. ويبدو أننى فقدت الوعى على إثر ذلك .

- لكنك كنت مندفعة فى اتجاه البحر .

- لم أكن أدرى ما الذى أفعله .. كنت مضطربة .. وخائفة على نحو جعلنى أركض بلا وعىٍ منى .

- أستطيع أن أتفهم ذلك .. والحمد لله على أننى كنت موجودًا فى هذه اللحظة لأتدخل فى الأمر .

قالت وقد عاودها ارتباكها ؟

- ولكن .. أين ثيابى ؟

عادل :

- كنت أحاول تجفيفها بالمكواة ، حينما وجدتك تستيقظين .. آسف .. لقد كانت ثيابك مبللة بالماء .. وجسدك يرتجف بشدة .. وكان يتعين علىّ أن أبدلها لك بالطبع ، قبل أن أضعك فى الفراش .. وإلا أصبت ببرد ..

قالت له دون أن تبدى أى مظهر من مظاهر الامتنان ؟

- من فضلك .. هل يمكنك أن تحضرها لى ؟

نهض (عادل) قائلاً :

- لحظة واحدة ، إننى أحاول تجفيفها لك .

قالت له بغضب يمتزج بالخجل ؟

- كيف ؟ كيف سمحت لنفسك ...

وأعجزها خجلها عن أن تستطرد فيما أرادت قوله .

بينما قال لها :

- لقد قلت لك .. إنه لم يكن أمامى وسيلة أخرى سوى ذلك .. فقد خشيت أن تصابى بالمرض .

قالت له وملامح الغضب مازالت مرتسمة على وجهها :

- من فضلك أحضر لى ثيابى سريعًا .

قال لها وهو يحاول تهدئتها :

- حاضر .. سأحضرها لك .. ولكن لا داعى للانفعال .

وفجأة سمع صوتًا خارج الشاليه .. ثم ما لبث أن فتح الباب الخارجى ، ليسمع صوت أصدقائه وهم يتصايحون ويمزحون .. مما أصابه بالارتباك .

بينما شددت (دعاء) من الغطاء عليها ، وهى أكثر اضطرابًا قائلة وهى تصيح :

- ما هذا ؟

أشار لها براحتيه محاولاً تهدئتها من جديد .. وهو يهمس لها قائلاً :

ـ لا تخافى .. إنهم أصدقاء لى .. ويقطنون معى فى هذا الشاليه .

قالت له وقد سيطر عليها الخوف :

ـ أصدقاؤك !! وماذا سيقولون عنى .. لو رأونى هكذا ؟

همس لها قائلاً :

ـ لا تقلقى .. لن أدعهم يرونك .. وحتى لو رأوك . فإننى سأشرح لهم كل شىء .

قالت له متوسلة :

ـ كلا .. أرجوك أعطنى ثيابى ودعنى أغادر هذا المكان .

وفجأة سمعا صوتًا ينادى (عادل) قائلاً :

ـ (عادل) .. هل أنت هنا ؟

ارتبك (عادل) قائلاً :

ـ لحظة واحدة .. سأخرج لهم . .

قال (وليد) محدثًا سمير :

ـ يبدو أنه لم يأت بعد ..

قال له (سمير) :

ـ لكننى أرى ضوءًا فى الغرفة .. كما أن الردهة

أيضًا مضاءة .. وأنا واثق بأننا أطفأنا كل الأنوار قبل أن نغادر الشاليه .

قال (رائف) ضاحكًا :

ـ أيكون لصًا قد زار المكان مثلاً .. لو كان هذا قد حدث .. فلا بد أن هنا اللص سيندب حظه .. لأنه لن يجد فى الشاليه ما يستحق السرقة .

قال (وليد) :

ـ إننى قلق بشأن (عادل) فلا أدرى إلى أين ذهب بعد مغادرته للمرقص .. خاصة بعد التصرف السخيف الذى تصرفته (شيرين) معه .

ـ والله يا أخى .. لها حق .. ما ذنبها هى لكى تضطر لمرافقة شخص كهذا .

قال له (وليد) معاتبًا :

ـ لا تنس أنه صديقنا .

ـ بالنسبة لى فإننى لا أعده كذلك .

ـ إن (عادل) شخص حساس .

ـ إنه شخص معقد ..

قال له (وليد) محتدًا :

ـ (رائف) !

لكن (سمير) تدخل قائلاً :

ـ لا داعى لكى تفسدوا علينا سهرتنا الجميلة بتصرفاتكما هذه .

وصمت فجأة .. وهو يشير لهما بالصمت أيضًا هامسًا :

ـ اسمعا .. إن باب الغرفة يفتح .

ـ لو كان (عادل) هنا .. وسمع ما قلناه فسوف تكون هذه مصيبة ..

لكن (عادل) لم يستمع لما دار بينهما من حوار .. فقد كان مهتمًا بالبحث عن وسيلة ، للتغلب علىَ المأزق الذى وجد نفسه فيه ، والذى أقحم فيه هذه الفتاة معه .

قال (وليد) متحرجًا :

ـ (عادل) .. هل أنت هنا ؟

قال له (عادل) وهو يبدو أكثر حرجًا :

ـ نعم .. لقد جئت إلى الشاليه منذ ساعة تقريبًا .

سأله (سمير) قائلاً :

ـ لماذا انصرفت هكذا ! إنك لم تحاول حتى أن تخبرنا بأنك ستنصرف .

قال (عادل) وهو يفرك يديه :

ـ لقد شعرت ببعض التعب ، فأردت أن أستريح فى الشاليه قليلاً .. ولم أشأ أن أفسد عليكم سهرتكم .

اقترب (وليد) منه قائلاً :

ـ (عادل) .. أنا آسف لما حدث .. خاصة وأننى أعد نفسى مسئولاً عن تعريضك لهذا الموقف السخيف .. فأنا الذى ألححت عليك ، لكى تأتى معنا .. وأصررت على أن تحاول التقرب إلى (شيرين) .. و ..

قاطعه (عادل) قائلاً :

ـ لم يحدث شىء .. ولا داعى للحديث فى هذا الأمر .

تثاءب (سمير) قائلاً وهو يتجه نحو الغرفة التى توجد بها (دعاء) :

ـ حسن .. سأدخل لأنام .

لكن (عادل) اعترض طريقه .. قائلاً :

ـ كلا .. أظن أنه يتعين عليك أن تنتظر قليلاً .

نظر إليه (سمير) بدهشة قائلاً :

ـ أنتظر قليلاً .. لماذا ؟ إننى متعب وأريد أن أنام .

لكن (عادل) أمسك بساعده قائلاً :

ـ لكنى أريد أن أتحدث معكم فى بعض الأمور .

ـ ألا يمكن لهذه الأمور أن تنتظر لما بعد ؟

قال (عادل) مرتبكًا :

ـ كلا .. لأنها تتعلق بأشياء هامة وتخصنا جميعًا .

سأله (سمير) وقد عقد ذراعيه أمام صدره قائلاً :

ـ وما هى هذه الأشياء ؟

قال (عادل) متلعثمًا :

ـ إنها .. إنها .. خاصة بـ ...

حدجه (وليد) بنظرة فاحصة قائلاً :

ـ (عادل) .. ماذا بك ؟ لماذا تبدو مضطربًا هكذا ؟

بينما سارع (رأفت) بالاندفاع نحو الغرفة ، وفتح بابها فجأة قائلاً :

ـ أظن أنه يخفى شيئًا داخل هذه الغرفة ، لا يريدنا أن نطلع عليه .

وما لبث أن تجمد فى مكانه ، حينما وقعت عيناه على (دعاء) وقد فوجئ بوجودها :

ـ بينما انزوت الفتاة فى أحد أركان الحجرة ، وهى تلتحف بالغطاء وفى عينيها نظرة ذعر .

★ ★ ★

٨ ـ اللقاء الثانى ..

ظل (رائف) ينظر إليها وقد فغر فاه ، فى حين اندفع (عادل) نحوه محاولاً إبعاده عن الحجرة .. وهو يقول :

ـ من فضلك يا (رائف) .. يجب أن أخبركم بشىء .

لكن (رائف) كان قد تخلص من وقع المفاجأة .. فنظر إليه .. ثم إلى الفتاة قائلاً :

ـ تخبرنا بشىء .. اسمح لى أن أخبرك بأننى كنت مغفلاً كبيرًا فيما ظننته عنك .

ـ (رائف) .. لا يصح .

لكن (رائف) صاح قائلاً :

ـ تعالوا أيها الرفاق .. انظروا مَنْ هنا .

حدق الأصدقاء الثلاثة فى (دعاء) التى انكمشت على نفسها ، وقد بدت فى أشد حالات الحرج .. وهم لا يصدقون ما تراه أعينهم .

بينما أردف (رائف) قائلاً :

- إذن .. هذا هو ما جعلك تنسحب من جلستنا .. وتتسلل إلى الشاليه فى غيبتنا .

احتد (عادل) قائلاً :

- (رائف) .. كفى .

جذبه (وليد) إلى خارج الحجرة قائلاً :

- هيا يا (رائف) .. وكفاك سخافة .

بينما ظل (سمير) يحدق فى الفتاة فى ذهول لبرهة قبل أن يلحق بهم .

وقد سارع (عادل) بإغلاق باب الحجرة على الفتاة بعد أن ساء موقفها للغاية .

اعتذر (وليد) لـ (عادل) قائلاً :

- آسف يا (عادل) لهذا الموقف الحرج .. ولكن لو كنت قد أخبرتنا ..

قاطعه (رائف) قائلاً بلهجته الساخرة :

- ولكن .. كيف حدث ذلك ؟ من أين حصلت على هذه الفتاة ؟

قال (سمير) :

- حقًا يا (عادل) متى تعرفت على الفتاة ؟ وكيف استطعت أن تأتى بها إلى الشاليه ؟

قال (عادل) :

- إن فكرتكم خاطئة تمامًا .. وما يدور فى عقلكم غير صحيح .

قال (وليد) :

- إذا أردت أن ننصرف .

رد (سمير) :

- ولكنى متعب .. وأريد أن أستريح .

قال (رائف) :

- أما أنا فلن أدع هذه الفرصة تفلت منى .. لا بد أن أعرف كيف تمكن هذا الثعلب المكير ، من اجتذاب الفتاة إلى هنا ؟ أم أنها من ذلك النوع الذى يتقاضى أجرًا ؟

نعم لا بد أنها كذلك ، وإلا لما قبلت مصاحبة هذا الشقى ..

اندفع (عادل) نحو (رائف) ليجذبه من ياقة سترته بعنف ، وهو يحتد عليه قائلاً :

- إننى لن أسمح لك بالمزيد من السفالة .

واندفع (سمير) و(وليد) محاولين تخليصه من يد (عادل) فى اللحظة التى فتح فيها باب الحجرة .

حيث غادرتها (دعاء) وقد ارتدت ثيابها ، وألقت نظرة سريعة عليهم ، ثم خفضت بصرها ، وسارعت نحو باب الشاليه .

فساد الصمت بين الأصدقاء الثلاثة ، بينما تخلى (عادل) عن الشجار مع (رائف) .. الذى حدق فيها قائلاً :

- غير معقول .. إن هذه الفتاة تبدو جميلة للغاية .. أيمكن لمثل هذه الفتاة أن تكون على علاقة بـ(عادل) ؟ كيف ؟

اندفع (عادل) نحوها قبل أن تفتح باب الشاليه قائلاً :

- من فضلك .. لحظة واحدة .

لكنها سارعت بفتح باب الشاليه ، لتغادره .. فلحق بها خارجًا ، قائلاً لها :

- أرجوك انتظرى .

قالت له وهى مازالت خافضة البصر :

- أرجوك أنت دعنى أذهب .

- لقد أردت أن أعتذر لك عما حدث .

هزت رأسها .. ثم سارعت بالابتعاد ، حيث وقف يراقبها للحظة ، ثم استدار عائدًا ليدخل الشاليه .

اقترب منه (وليد) قائلاً :

- آسف يا (عادل) .

لكنه حدَّق فيهم قائلا :

- لقد كان تصرفكم وضيعًا للغاية .

قال له (سمير) وهو يضع يده على كتفه :

- فلننس ما حدث .

لكنه قال لهم بحزم :

- إننى لن أكمل هذه الرحلة معكم .

قال (وليد) :

- (عادل) .. لا يصح أن نختلف على هذا النحو ..

ثم استطرد قائلاً وهو ينظر إلى (رائف) :

- إن (رائف) سيعتذر لك .

وبالفعل نهض (رائف) ليقترب منه قائلاً :

- أنا آسف يا (عادل) .

وأمسك برأسه محاولاً تقبيله وهو يقول :

- وها هو رأسك لأقبله ..

لكن (عادل) جذب رأسه من بين يدى (رائف) قائلاً فى حزم :

- إننى سأعود إلى القاهرة غدًا .. فَقَدْ فَقَدَ الهواء نقاءه هنا .

دخل حجرته ليغلقها عليه ، فى حين التفت (وليد) إلى (سمير) و (رائف) قائلاً :

ـ لقد تصرفنا بطريقة غير لائقة .

قال (رائف) ساخرًا :

ـ وهل كان من اللائق أن يتظاهر أمامنا بالبراءة .. ثم يخدعنا ويأتى بهذه الفتاة إلى هنا فى غيبتنا ؟

هل نسى أننا شركاء له فى هذا الشاليه ؟

قال (وليد) :

ـ من يراك تتحدث هكذا ، يظن أنك من رجال الأخلاق والدين ..

ـ إننى لا أدعى ذلك .. لكن السيد (عادل) هو الذى يتظاهر أمامنا بغير الحقيقة .

قال (وليد) وهو يهز رأسه رافضًا :

ـ كلا .. لا أظن أن (عادل) على هذا النحو الذى تظنه .

قال (سمير) :

ـ أعتقد أنه تعمد إحضار هذه الفتاة إلى الشالية ليجعلنا نراها بصحبته .

ـ ولماذا يفعل ذلك ؟

ـ لأنه .. أراد أن يثبت لنا ، أنه يستطيع هو الآخر أن يكون صاحب علاقات غرامية .. وأنه لا يقل عنا مقدرة فى هذا الشأن .

هزَّ (وليد) رأسه وقد بدا غير مقتنع .. قائلاً :

ـ كلا .. لا أظن أن الأمر يصل به إلى هذا الحد .

قال (رائف) :

ـ لماذا ؟ إن هذا الشخص معقد .. وإحساسه بالنقص يمكن أن يدفعه لما هو أكثر من ذلك .

إننى أؤيد (سمير) فيما قاله .

كما أننى واثق بأنه دفع مبلغًا من المال لهذه الفتاة مقابل أن تأتى معه إلى الشاليه .. وتمثل معه هذا الدور .

ففتاة جميلة مثلها ، لا يمكن أن تأتى بصحبة شخص مثل (عادل) إلى هنا ، لأنها معجبة به أو مدلهة فى حبه .

ـ لا يبدو على الفتاة أنها من هذا النوع .. لقد بدت محرجة للغاية ، وأظن أن هناك تفسيرًا آخر لوجودها فى الشاليه .

ـ هل انخدعت بهذا التمثيل الذى مثلته أمامنا ؟

أعطنى مبلغًا من المال ، وأنا أحضر لك فتاة تفوقها جمالاً وبراءة وتمثيلاً .

ـ على أية حال .. هو حر فى تصرفاته .

ـ إنك دائمًا تدافع عنه .

قال له (وليد) بانفعال :

ـ وأنت دائمًا تكرهه .. برغم أنه لم يرتكب فى حقك أى خطأ . بل كان صديقًا مخلصًا لنا جميعًا .. وله أفضال لا يمكن إنكارها على كل فرد منا .

أشاح (رائف) بوجهه ويده ، تعبيرًا عن عدم تقبله لهذا الكلام .

بينما قال (سمير) :

ـ أظن .. إنه من الأفضل أن ننام الآن .. ونحاول غدًا أن نسترضيه ، وأن نثنيه عن فكرة السفر المبكر هذه .

قال (وليد) :

ـ لا أظن أننا سننجح فى ذلك .. فمن الواضح أنه مستاء منا للغاية .. وأننا قد تسببنا فى جرح مشاعره .

وبالفعل غادر (عادل) الشاليه فى ساعة مبكرة قبل أن يستيقظ أصدقاؤه الثلاثة حاملاً حقيبته ، حيث

توجه إلى مكتب حجز السيارات ، ليحجز له تذكرة فى أول سيارة متجهة إلى القاهرة .

وبينما هو واقف ، ينتظر وصول السيارة التى ستقله إلى القاهرة لمح فتاة ترتدى إشاربًا أزرق ، وعلى عينيها منظار أسود ، وهى تقترب من مكتب حجز السيارات حاملة حقيبتها .

وسرعان ما تبين أنها هى .. الفتاة التى رآها عند الصخرة المطلة على الشاطئ .

كان من الواضح أنها فى طريقها ، لحجز مقعد على نفس السيارة التى ستقله إلى القاهرة .. خاصة وقد أحضرت حقيبتها معها .. ولم يستطع أن يمنع نفسه من الذهاب إليها .. وقد أحس بسعادة غامضة لأنه تمكن من رؤيتها مرة أخرى .

* * *



٩ - دعنى أبكِ ..

اقترب منها قائلاً :

- صباح الخير .

- اضطربت فى البداية لدى رؤيته .. ثم ما لبثت أن قالت له بصوت خافت يثقله الحزن :

- صباح الخير .

ابتسم (عادل) قائلاً :

- إننى سعيد لأننا التقينا مرة أخرى .

هزَت رأسها دون أن تقول له شيئًا ، متجهة إلى المكان المخصص لحجزِ التذاكر .

لكنه استوقفها قائلا :

- هل أنتِ مسافرة إلى القاهرة ؟

أجابته قائلة :

- نعم .

- أظن فى السيارة التى ستتحرك فى السابعة .

هزَت رأسها دون أن تجيبه مرة أخرى .

- أنا أيضًا مسافر فى نفس السيارة ..

استدارت متجهة إلى النافذة المخصصة لحجز التذاكر .. وقد استقبلت محاولته التودد إليها ببرود ، مما جعله يتوقف عن المحاولة .. ويبتعد عن طريقها .

لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من النظر إليها .. فبرغم غرابة الظروف التى جمعته بالفتاة إلا أنه كان يحسَ بأنها تمرُ بأزمة عنيفة .. وأنها بحاجة لمن يمدُ لها يد المساعدة .. ويعينها على تجاوزها .

وما لبث أن رآها .. تفتش فى حقيبتها ، وهى فى حالة من الارتباك الشديد .

وتحدثت مع الموظف المختص بالحجز .. ثم عادت لتفتش فى حقيبتها مرة أخرى ، وكأنها تبحث عن شىء مفقود .

أراد أن يذهب إليها ؛ ليستفسر عن سر اضطرابها .. لكنه أحجم عن ذلك .. وقد خشى أن تظن أنه يحاول فرض نفسه عليها .. أو تستقبله بنفس الجفاء ، الذى واجهته به منذ قليل .

ورآها وهى تبتعد عن النافذة المخصصة لحجز التذاكر وقد بدت حائرة .

ثم ما لبثت أن نزعت المنظار عن عينيها ، ليرى فيها تعبيرًا ينم عن اليأس .

وفى هذه المرة لم يستطع أن يمنع نفسه من الذهاب إليها .. ليسألها قائلاً :

- هل هناك مشكلة ما ؟

نظرت إليه .. وملامح الحيرة واليأس .. مازالتا مرتسمتين على وجهها ، قائلة بصوت شارد :

- هه .. كلا .

ابتعدت قليلاً .. ثم ما لبثت أن توقفت وقد بدا عليها التردد .

وأخيرًا بدا أنها قد حسمت أمرها .. فعادت إليه حيث كان لا يزال واقفًا فى مكانه ، وهو ينظر إليها باستغراب قائلة :

- أيمكنك أن تقرضنى ثمن التذكرة .. وسوف أرده لك بعد أن أعود إلى القاهرة ؟

نظر إليها للحظة دون أن يقول شيئًا .. وقد بدا أنه بوغت بما قالته .. ثم ما لبث أن قال وهو يخرج حافظته :

- بالطبع .. لو أردت الحصول على أى مبلغ إضافى ....

لكنها قاطعته قائلة :

- إننى لا أريد سوى ثمن التذكرة .. فقد اكتشفت الآن فقط أننى قد فقدت حافظة النقود الخاصة بى .. مما جعلنى أشعر بحرج شديد .

ابتسم قائلاً :

- لا يوجد ما يدعو للحرج .. فكلنا معرضون لمواجهة مثل هذه الظروف ..

ثم استطرد قائلاً :

- أتسمحين لى بشراء التذكرة لك ؟

أومأت له برأسها موافقة ، حيث توجه إلى نافذة حجز التذاكر ليعود لها بالتذكرة قائلاً :

- تفضلى .

نظرت إليه فى خجل قائلة :

- لا أعرف كيف أشكرك ؟

عاد ليبتسم لها قائلاً :

- لا داعى للشكر .. هيا بنا لنستقل السيارة فهى على وشك التحرك بعد خمس دقائق فقط .

ساعدها على وضع حقيبتها .. ثم جلست إلى جواره .. وهى تنظر ساهمة من نافذة السيارة ، التى تأهبت للتحرك .

مرت عشر دقائق منذ أن تحركت السيارة ، وهى تحدق من خلال زجاج النافذة بنظرات شاردة إلى الطريق .

بينما هو ينظر إليها من آن لآخر ، وفى عينيه نظرة تساؤل .. وفى قلبه إحساس غريب ، جعله ينجذب إلى هذه الفتاة الجالسة بجواره .

كان لديه رغبة شديدة فى أن يطرح عليها العديد من الأسئلة .. وأن يعرف عنها الكثير .. ويتعرف سر هذا الحزن الكامن فى عينيها .

لكنه أحس بأنها ربما لا ترغب فى أن يتدخل أحد فى شئونها .. وأنها قد تفضل أن تلتزم الصمت .. ففضل أن يلتزم الصمت بدوره ، مكتفيًا بالنظر إليها من آن لآخر .

لكنها ما لبثت أن التفتت إليه ، وقد بدا أنها تنبهت إلى وجوده لأول مرة ، فهمست له قائلة :

ـ أشكرك ..

نظر إليها قائلاً :

ـ مرة أخرى .. لكنك شكرتنى منذ قليل .

ـ هذه المرّة أشكرك على إنقاذك لى من الغرق .. عندما أصابنى ذلك الدوار وسقطت فى الماء .

لقد نسيت أننى لم أشكرك من أجل هذا المعروف ، برغم أنك أنقذت حياتى .. وبالرغم من ذلك فقد عاملتك بجفاء .

قال لها بنبرة هادئة :

ـ الحمد لله على أنك بخير .. إننى أقدر الظروف التى تعرضت لها .

قالت له وفى عينيها نظرة امتنان حقيقية :

ـ لقد أصبحت مدينة لك بالكثير .. فقد أنقذت حياتى .. وأقرضتنى ثمن تذكرة السفر .. لن أنسى لك صنيعك هذا .

ـ إنك تبالغين فيما فعلته .. فأى شخص فى مكانى لم يكن ليفعل أقل مما فعلته .

تنهدت قائلة وهى تسند رأسها إلى مسند المقعد :

ـ مع الأسف ، الحياة لم يعد بها الكثيرون ممن يحرصون على مثل هذه التصرفات النبيلة .. وممن هم مستعدون للتدخل لمساعدة الغير ، دون أى غرض أو غاية .

نظر إليها قائلاً :

ـ الدنيا ما زالت بخير .

مطت شفتيها قائلة بصوت يقطر مرارة :

ـ اسمح لى أن أختلف معك فى ذلك .. فدق اختفت معانٍ جميلة من حياتنا ، وفقدت قيمتها .. مثل الحب .. والإخلاص .. والوفاء .

وسادت قيم أخرى أصبحت هى الغالبة .. مثل الكذب .. والخيانة .. والخداع .

ـ يبدو أنك تعرضت لتجربة قاسية ، هى التى دفعتك لأن تقولى ذلك .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ هل تعرفين .. إننا لم نتعارف بعد .. برغم أن هذا هو اللقاء الثانى بيننا ؟

قالت له :

ـ اسمى (دعاء) .

ابتسم لها قائلاً :

ـ وأنا (عادل) .. (عادل عبد الحميد) .

ـ إننى سعيدة بتعرفك يا أستاذ (عادل) .

قال لها وفى صوته نبرة صدق حقيقية :

ـ وأنا أيضًا .

سألته قائلة :

ـ هل أنت من القاهرة ؟

ـ نعم .

ـ وهل تعمل بالغردقة ؟

ـ كلا .. لكنى أتيت إلى هنا فى إجازة قصيرة .

ـ إذن .. فأنت تعمل فى القاهرة ؟

ـ نعم .. إننى محاسب فى الشركة العالمية للاستيراد والتصدير .

ـ وأنا أعمل مضيفة طيران .

نظر إليها بدهشة قائلاً وهو يبتسم :

ـ مضيفة طيران ، وتلجئين إلى قطع هذه الرحلة من الغردقة إلى القاهرة بالسيارة .. لماذا لم تسافرى بالطائرة ؟

أجابته قائلة :

ـ الطائرة التى أعمل عليها لا تقوم إلا برحلة واحدة أسبوعيًا إلى الغردقة .. وكان يتعين علىّ أن أسافر اليوم .

ـ هل كنت تقضين إجازتك فى الغردقة ؟

هزت رأسها ، وقد عادت مسحة من الحزن لتخيم على وجهها قائلة :

ـ نعم .. لكنها لم تكتمل .
سألها قائلاً وقد آثار حزنها اهتمامه :
ـ هل حدث ما عكر صفو إجازتك :
ـ تجاهلت سؤاله قائلة :
ـ أظن أن هؤلاء الذين جاءوا إلى الشاليه بالأمس هم أصدقاؤك بالعمل ؟
ـ نعم .
ـ هل كانوا فى إجازة معك أيضًا ؟
ـ نعم .. لقد جئنا لقضاء أسبوع فى الغردقة .
نظرت إليه قائلة :
ـ لكن .. يبدو أنك لم تكمل هذا الأسبوع معهم .
ـ نعم .. أنا أيضًا لم تكتمل إجازتى .
ـ لماذا ؟
ـ لم أستطع الاستمرار فى البقاء معهم ، بعد ما حدث بالأمس .
قالت له معتذرة ، وقد اعتراها إحساس بالذنب :
ـ أنا آسفة جدًا .. لم أكن أحب أن أكون سببًا فى الخلاف بينكم ، وأن أفسد عليك إجازتك .
ـ لا داعى للأسف .. فلم أكن مستعدًا لاستكمال هذه الإجازة على أية حال .

ـ لماذا ؟ ألم تعجبك الغردقة ؟
ـ بالعكس .. فلا أظن أن هناك مكانًا أجمل من الغردقة .. ولكن يبدو أننى أنا الذى لم أكن مهيئًا للاستمتاع بهذه الإجازة .
وصمت برهة قبل أن يستطرّد قائلاً :
ـ إننى أكرر أسفى .. بشأن ما حدث بالأمس ، وتعرضك لهذا الموقف السخيف من جانب زملائى .
ـ أنا التى يتعين عليها أن تعتذر لك .. فلولا شهامتك وإنقاذك لحياتى ، ما كنت قد عرضتك معى لهذا الموقف .
نظر (عادل) إلى أصابعها قائلاً :
ـ هل أنت مخطوبة ؟
تنبهت إلى سؤاله ، وإلى نظرات عينيه لإصبعها .. فقالت له :
ـ هه .. آه .. كلا .. لقد كنت مخطوبة حتى الأمس .
ونزعت خاتم الخطبة من إصبعها ، لتلقى به من النافذة قائلة :
ـ ثم انتهى كل شىء .

نظر إلى ما فعلته بدهشة شديدة .. وقد فوجئ بإلقائها للخاتم على هذا النحو .

فقال لها متحرجًا :

ـ آسف .. لم أكن أحب أن أتسبب فى ...

قاطعته قائلة :

ـ بالعكس .. لقد نبهتنى إلى شىء كان يتعين علىّ أن أفعله ، فهذا الخاتم لم يكن له أن يبقى فى إصبعى أكثر من ذلك .

ـ هل حدث ما تسبب فى إفساد الأمر بينك وبين خطيبك ؟

أجابته قائلة :

ـ لقد كان مرتبطًا بخطبتين فى آن واحد .. ومن يدرى ربما كن ثلاثًا أو أربعًا .

قال لها بدهشة :

ـ أتقصدين أنه كان مرتبطًا بفتاة أخرى فى أثناء ارتباطه بك ؟

ـ هذا ما عرفته بالمصادفة .. فقد اكتشفت أننى كنت مخدوعة فى الرجل الذى أحببته ، وكنت أمنى نفسى بالزواج منه . وفى اللحظة التى ظننت فيها

أننى أحقق له مفاجأة سعيدة بعودتى إليه ، وجدته فى أحضان فتاة أخرى ، وعندما سألته عنها ، قدمها لى بصفتها خطيبته .. ولا أدرى ما هى الصفة التى قدمنى بها إليها .

صمتت برهة لتلتقط أنفاسها ، ثم عادت لتقول له بعصبية واضحة :

ـ ما رأيك فى هذا ؟ أظنه موقف مضحك للغاية بالرغم مما يحتويه من دراما .. أليس كذلك ؟

قال لها وقد أحس بالأسف من أجلها :

ـ إننى أقدر ما تعرضت له فى مواجهة موقف كهذا .. وأعرف أنها كانت لحظة قاسية للغاية .

حاولت أن تبدو متماسكة أمامه ، ولاحظ أنها تحاول أن تسيطر على انفعالاتها قائلة :

ـ آسفة يا أستاذ (عادل) .. لم أكن أحب أن أشركك معى فى هذا الأمر .

ـ أنا الذى يتعين عليه أن يتأسف ، لأننى حركت فى نفسك هذه الأحاسيس المؤلمة ، بسؤالى لك بشأن خطبتك .

قالت له وهى تبذل جهدًا كبيرًا للسيطرة على انفعالاتها :

(٥ ٧ ـ زهور ٧٣ (مشاعر دافئة))

- ليست مؤلمة إلى هذه الدرجة التى تتصورها .. فلا أعتقد أن شخصًا كهذا يستحق أن أتألم من أجله .

- ربما ليس من أجل الشخص .. ولكن من أجل كل المعانى الجميلة التى كانت تربطك به .. والتى ضاعت فى اللحظة التى رأيته فيها مع تلك الفتاة الأخرى .

إن هذا يفسر سبب الحالة التى رأيتك عليها بجوار الصخرة .

قالت له وقد أحست بتعاطفه معها :

- كنت مصدومة بقسوة .. ولم أكن فى حالة تسمح لى بالسيطرة على نفسى .

قال لها وقد ازداد تعاطفًا معها :

- أعرف ذلك .. إننى أتفهمه وأقدره .

انحدرت العبرات على وجنتيها ، دون أن تجد القدرة على مقاومتها . فعادت لتقول له بصوت متهدج :

- إننى آسفة .. إننى .. أنا ...

قال بنبرة حانية ، وهو يقدم لها منديلاً لتمسح به عبراتها :

- لا تعتذرى عن شىء ، ولا تحاولى كبت انفعالك .. أطلقى العنان لدموعك ، ودعيها تغسل أحزانك .. حتى تهدئى تمامًا .

* * *

١٠ - إحساس خفى ..

لم يصدق نفسه وهو يسمع صوتها فى الهاتف لتحادثه قائلة :

- ترى .. هل عرفتنى ؟

قال لها بدهشة :

- بالطبع .. لكنى لم أتوقع اتصالك بى .

سألته قائلة :

- هل نسيت أنك أعطيتنى رقم الهاتف ، بعد أن طلبته منك ، قبل وصولنا إلى القاهرة ببضع دقائق ؟

- نعم .. ومع ذلك لم أتوقع أن تتصلى بى .

- لماذا ؟

- لأننى تمنيت أن أسمع صوتك مرة أخرى .. وأنا لم أعتد أن تتحقق أمانىّ .

- لقد اتصلت بك لأننى أرغب فى مقابلتك .

قال لها وفى صوته نبرة فرح حقيقى :

- حقًا ؟

ـ نعم .. لأرد لك ثمن التذكرة الذى دفعته لى .

صمت برهة قبل أن يقول لها ، وقد عبّر صوته عن إحساسه بخيبة أمل :

ـ هل هذا هو سبب اتصالك بى ؟

أجابته قائلة :

ـ نعم .. ألم أتفق معك على ذلك حينما اقترضت منك ثمن التذكرة ؟

ـ على أية حال لا تُشغلى نفسك بذلك .. فالأمر لا يستحق .

قالت له بإصرار :

ـ بالنسبة لى فإنه يستحق .. من فضلك يا أستاذ (عادل) لا بد أن نلتقى لأسدد ما علىّ من دين .

ـ مادمت مصرة على ذلك .. فلا بأس .

حدد لها (عادل) موعدًا ليلتقيا فى أحد الأمكنة .

ولم يكن دافعه فى ذلك هو استرداد ثمن التذكرة بالطبع .. بل كان كل ما يهمه هو أن يراها .. ويلتقى بها مرة أخرى .

فهو لم يستطع أن ينساها ، منذ أن التقى بها فى ذلك المكان بجوار الصخرة أمام الشاطئ .

ظلت نظراتها الشاردة وعيناها الحزينتان ـ واللتان لم يستطع حزنهما أن يخفى جمالها ـ تطاردانه وتشغلان تفكيره .

إن هذه الفتاة كان لها فى قلبه أثر مختلف عن بقية الفتيات الأخريات اللاتى التقى بهنّ ، وفشل فى أن يحوز إعجابهنّ .

فأية فتاة من اللاتى أراد التودد إليهن ، لم تكن تمثل بالنسبة له سوى محاولة للتغلب على إحساسه بالنقص .

ورغبة منه فى أن يثبت لنفسه أنه يمكن أن يكون مرغوبًا ، وأن وجهه الدميم لن يكون عائقًا ، أمام مروره بتجربة عاطفية ، وأن يحظى بمشاعر دافئة ، مثله مثل بقية زملائه وأصدقائه .. الذين طالما سمع منهم قصصًا وروايات عن علاقات عاطفية .. وأحاسيس حب لم يعرفه ، ولم يلتق به يومًا فى حياته .. برغم أنه حلم به كثيرًا ورآه فى خيالاته .

إن أية فتاة من اللاتى التقى بهن ، وأراد أن يحظى باهتمامهن .. لم تحرك إحداهنّ مشاعر حقيقية فى نفسه .. أو يخفق لها قلبه .

أما هذه الفتاة .. فإن الأمر كان مختلفًا بالنسبة لها .

لم يستطع أن يقاوم تعاطفه معها .. والتجاوب مع أحزانها منذ أن رآها . لقد لمست وترًا خفيًا فى نفسه .. وحركت لديه مشاعر مجهولة لم يحسها من قبل .

أخذ ينظر إلى باب الكازينو من آن لآخر بلهفة ، مترقبًا حضورها .

وما لبث أن لمحها قادمة . فوجد قلبه يخفق بشدة .

استقبلها مرحبًا وهو يدعوها للجلوس .. فقالت له :

- آسفة .. لن أستطيع أن أبقى طويلاً .. فلا بد أن أذهب إلى المطار الآن .

قال لها راجيًا :

- فلتبقى ولو لخمس دقائق فقط .

اضطرت (دعاء) للجلوس .. قائلة وهى تخرج النقود من حقيبتها :

- آسفة .. إذا كنت قد تأخرت عليك .

مدّت له يدها بالنقود .. فتناولها منها بعد لحظة تردد ، قائلاً :

- آنسة (دعاء) .. أيمكننا أن نكون أصدقاء ؟

- بالطبع .. لا أظن أننى سأجد من هو أفضل منك كصديق .

حسن .. ما دام الأمر كذلك .. اسمحى لى أن نلغى الألقاب بيننا ، فلا داعى لكلمة أستاذ وآنسة هذه .

ابتسمت قائلة :

- سمحت بذلك .

- وهل تسمحين أيضًا بأن أدعوك على كوب من عصير البرتقال ؟

نظرت إلى ساعتها قائلة :

- لا أظن أننى أستطيع ذلك .. فأنا لا أريد أن أتأخر عن العمل .

- إذن اسمحى لى على الأقل أن أوصلك .

- لا داعى لذلك .

- لماذا .. ألم توافقى على أن نكون أصدقاء ؟

- لا أريد أن تتعطل بسببى .

- لا توجد أية عطلة .. فأنا لست مرتبطًا بشىء .

غادرا الكازينو ، حيث توقفت أمام سيارة صفراء صغيرة ، لتفتح بابها ، فسألها قائلاً :

- هل هذه سيارتك ؟

أجابته قائلة :

ـ نعم .

ـ لقد ظننت أننى سأقوم بمهمة توصيلك .

سألته قائلة :

ـ ألديك سيارة ؟

أجابها قائلاً :

ـ كلا .. لكنى كنت سأستأجر لك سيارة أجرة .

سألته قائلة :

ـ أتجيد القيادة ؟

أجابها قائلاً :

ـ نعم .

أعطته مفاتيح سيارتها قائلة :

ـ إذن .. هيا لتوصلنى .

أحس بسعادة غامرة لجلوسه بجوارها مرة أخرى ..

لقد كان يأمل أن يسمع صوتها ، وأن يراها بعد ساعات قليلة من وداعه لها .. وها هى أمنيته قد تحققت .

نظر إليها قائلاً :

ـ إننى سعيد ؛ لأننى أراك اليوم فى حالة أفضل مما كنت عليها من قبل .

حاولت أن ترسم ابتسامة على وجهها قائلة له :

ـ إننى أحاول أن أنسى ما حدث .

ـ لا بد أن تنجحى فى ذلك .. حتى يمكنك أن تواصلى حياتك دون النظر إلى الوراء .

ـ لقد كان لمساعدتك المعنوية لى فضل كبير فى ذلك .. وإذا أضفنا هذا إلى إنقاذك لحياتى ، وإقراضك لى النقود ، فإننى أصبح مدينة لك بالكثير حقًا يا أستاذ (عادل) .

ابتسم لها قائلاً :

ـ أظن أننا قد اتفقنا على ألا نتعامل بالألقاب .. ومادمنا قد اتفقنا أيضًا على أن نكون أصدقاء .. فلا يوجد بين الأصدقاء من هو دائن ومدين .

نظرت إليه وهى تتأمله قليلاً قائلة :

ـ لكننا تحدثنا كثيرًا عنى .. فى حين أنك لم تقل لى شيئًا عن نفسك ..

ـ لا يوجد فى حياتى ما يستحق أن يقال .

ـ هل هذه محاولة منك للهرب من تدخلى فى أمورك

الشخصية ؛ على أية حال .. لقد فعلت ذلك بدافع الصداقة التى حدثتنى عنها .

- بالطبع هذا ليس حقيقيًا .. لكن بالفعل لا أجد فى حياتى ما يستحق أن يقال .

- لا أعتقد أن حياة أى شخص تخلو تمامًا مما يستحق أن يقال .

صمتت برهة قبل أن تستطرد هى قائلة فى فضول :

- مثلا .. هل أنت متزوج ؟ أو مرتبط بفتاة ما ؟

★ ★ ★



١١ - مكـــان فى قلبـــى ..

أجابها قائلاً :

- كلا .

قالت له بفضول :

- لا بد أنه كان فى حياتك إنسانة ما .

قال لها وهو يتطلع إلى الطريق :

- لم يكن فى حياتى إنسانة أبدًا سوى أمى رحمها الله .

قالت له وقد ازداد فضولها :

- أيعنى هذا أنك لم تحب أو تعجب بفتاة ما ؟

أجابها قائلاً :

- لم أعرف الحب بمعناه الحقيقى .. ولكنى عشته فى خيالى .

وقد أعجبت بالطبع بفتيات كثيرات .. ولكن يبدو أننى لم أعجبْ واحدة منهنَ .. لذا تجدين حياتى خالية من القصص العاطفية .

ـ اعذرنى لو كنت أبدو فضولية بعض الشىء .. ولكنى لا أعرف لماذا تتحدث عن نفسك هكذا ؟

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أعنى لماذا قلت إنك لم تقابل الفتاة التى تعجب بك حتى الآن ؟

ـ لأن هذه هى الحقيقة .

ـ أظنك تتعمد أن تقلل من شأن نفسك ..

ضحك قائلاً :

ـ أقلل من شأن نفسى ؟ يا لك من مجاملة .

ـ لكنى لا أجاملك .

ـ إذا كان هذا حقيقيًا .. فإنها المرة الأولى التى أسمع فيها فتاة ترانى ذا شأن .. وخاصة فيما يتعلق بإعجاب الأخريات بى .

ـ ما زلت .. لا أفهم ، لماذا تحاول أن تقلل من شأن نفسك هكذا ؟

ـ لأننى أرى نفسى فى المرآة كل يوم .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ ألا ترين أننى أفتقر تمامًا إلى الوسامة ؟ وأن لى وجهًا منفرًا ؟

ـ بل أرى أنك تبالغ فى وصفك لنفسك .. وعلى أية حال ، مسألة القبح أو الوسامة هى مسألة نسبية .

ابتسم (عادل) قائلاً :

ـ أشكرك على هذا التقدير الذى لا أستحقه .

ـ أظن أنك تستحق ما هو أكثر من ذلك .. إن جمال الوجه أو المظهر فى النهاية ليس هو كل شىء .. هناك أشياء أخرى تتعلق بشخصية المرء .. وأحاسيسه .. ومشاعره تأتى فى المرتبة الأولى .. وأنا لا أجاملك إذا قلت أننى قد لمست فيك صفات ومعانى رائعة .. تتمنى أية امرأة أن تجدها فى الرجل الذى تختاره .

قرب وجهه منها قائلاً :

ـ إذن .. هل تتزوجيننى ؟

تراجعت برأسها إلى الوراء ، وهى تنظر إليه بدهشة وارتباك .

فابتسم وهو يعود إلى الوضع الذى كان عليه قائلاً :

ـ لا تخافى .. لقد كنت أمزح معك فقط .

وأشار إلى المطار الذى وصلا إليه قائلاً :

ـ أظن .. أننا قد وصلنا .

قالت له وهى تتأهب لمغادرة السيارة :

ـ أشكرك على توصيلك لى .

ابتسم قائلاً وهو يعطيها مفاتيح السيارة :

ـ إنها سيارتك على أية حال .

قالت له وهى تعيد إليه المفاتيح :

ـ يمكنك أن تعـود بها إلى المدينـة وتتركهـا فى (الكراج) الذى أحدده لك .

لكنه رد إليها المفاتيح قائلاً :

ـ لا داعى لذلك .. أفضل أن أخذ سيارة أجرة .

ثم أردف قائلاً بمزاح :

ـ هل يمكن أن نضيف توصيلى لك إلى بقية الخدمات الأخرى ؟

ضحكت قائلة :

ـ يمكنك بالطبع .

ابتسم قائلاً :

ـ هذا يثقل من ديونك ..

ابتسمت بدورها قائلة :

ـ أظن ذلك .

ـ على أية حال يمكنك أن تسددى الدين كلـه مـرة واحدة .

سألته قائلة :

ـ كيف ؟

ـ بأن تقبلى أن تشربى معى عصير البرتقال الذى لم تشربيه فى الكازينو .

ـ أيعنى .. هذا أنك توجه لى دعوة جديدة ؟

ـ أظن أننا بحاجة لكى نشرب نخب صداقتنا .

ـ حسن .. لا مانع ..

ـ ما رأيك لو تقابلنا غدًا .. فى نفس المكان ونفس الموعد .

ـ فلنجعلها بعد الغد .. والآن .. هل تسمح لى ؟ فقد تأخرت .

ـ بالطبع .. آسف إذا كنت قد أخرتك .

لكنها ما كادت تبتعد قليلاً حتى لحق بها فى لهفـة ليناديها قائلاً :

ـ (دعاء) .

التفتت إليه قائلة :

ـ نعم .

ـ أشكرك .

ـ تشكرنى على ماذا ؟

ـ على قبولك لدعوتى .. وعلى الكلمات الرقيقة التى قلتها لى منذ قليل .

ابتسمت له دون أن تعلق بشىء .. ثم دخلت إلى المطار وهى تلوح له مودعة .

ظل يلوح لها حتى اختفت عن عينيه .. ثم بقى لعدة لحظات واقفًا فى مكانه .. وقد أدرك حقيقة المشاعر الغامضة التى أحسها نحو الفتاة ، ولم يستطع أن يفسرها .. وسر خفقان قلبه وهو جالس بجوارها .

لقد أحبها .. ويبدو أن قلبه ومشاعره قد أدركا ذلك قبل أن يدركه عقله .

سار فى الطريق واضعًا يديه فى جيبه ، وهو يفكر ...

إذن .. فهذا هو الحب ، وقد التقى به أخيرًا .

الحب الذى طالما عاش فى خيالاته .. والتقى به فى أحلامه الشاردة .

إن (دعاء) هى فتاة أحلامه .

وتوقف فجأة عن السير ليقول لنفسه :

ـ لكن .. ماذا عنه هو ؟ أيمكن أن يصبح فتى أحلامها ؟

نظر إلى ملامحه فى الباب الزجاجى المجاور وقد عاوده الإحساس بالألم .

إنه لا يمكن أن يكون فتى أحلام أى فتاة .

فبهذا الوجه المنفر لا يمكن أن يصبح كذلك .. كما أنه ليس ثريًا ليعوض بثرائه هذا النقص الواضح فيه .

إنه يفتقر لأشياء كثيرة من تلك التى تعيش فى مخيلة أية فتاة .

لكن .. ماذا عن تلك الكلمات الرقيقة التى تحدثت بها عنه ؟

عاد ليقول لنفسه وهو يهز كتفيه :

ـ ما الذى يمكن أن تحمله مثل هذه الكلمات ؟ التقدير .. لا شىء أكثر من التقدير .. والعرفان بالجميل .

هذا أقصى ما يمكن أن تحصل عليه من مشاعر .. فلا تحاول أن تمنى نفسك بأكثر من ذلك .

لكنه واثق من مشاعره نحوها .. واثق بأنه أحبها ... وأنها احتلت مكانًا فى قلبه .

★ ★ ★

١٢ - مشاعر سجينة ..

تهللت أساريره وهو يراها مقبلة نحوه .. ويستقبلها بترحاب شديد قائلاً :

- كنت أخشى ألا تأتى .

ابتسمت قائلة :

- لقد وعدتك .. وأنا أحترم وعودى .

وتلفتت حولها وهى تجلس إلى المائدة المطلة على مياه النيل قائلة :

- أين عصير البرتقال .. الذى دعوتنى إليه ؟

نادى (الجرسون) ليحضر لهما كوبين من عصير البرتقال .. فأمسكت بكوبها قائلة :

- نخب الصداقة .

رفع إليها كوبه قائلاً بدوره :

- نخب الصداقة .

وما إن انتهت من شرب العصير ، حتى وضعت الكوب على المائدة قائلة له :

- والآن .. هل تسمح لى بالانصراف ؟

قال لها بانزعاج :

- بهذه السرعة .. لقد جئت منذ لحظات .

- ألم نشرب عصير البرتقال .. ونصدق على نخب صداقتنا ؟

- يبدو أننى صديق مزعج .

- لماذا تقول هذا ؟

- لأنك لا ترحبين بالجلوس معى .

قالت له :

- ما رأيك لو جئت معى ؟

سألها قائلاً :

- إلى أين ؟

ابتسمت قائلة :

- أيجب أن تعرف ؟

قال لها وهو يرمقها بنظرة تعبر عن عاطفته القوية نحوها :

- كلا .. يكفينى أن أكون معك .

- إذن .. هيا بنا .

رافقها (عادل) فى جولة قصيرة لبعض المتاجر ، حيث ابتاعت بعض الأشياء لنفسها .

كان سعيدًا برفقته لها .. وتمنى لو ذهبا معًا إلى كل متاجر المدينة ، حتى يبقى برفقتها أطول وقت ممكن .

وبينما كانت تقيس أحد الثياب .. اشترى منديلاً مطرزًا ليقدمه لها قائلاً :

ـ هل تسمحين بأن تقبلى منى هذه الهدية الرمزية ؟

حاولت أن تعترض قائلة :

ـ ولكن ...

لكنه قاطعها قائلاً :

ـ إننى لم أشتر لك ثوبًا أو شيئًا من هذا القبيل ، لأننى أعرف أنك كنت سترفضين قبول هدية من هذا النوع .

لذا لم أجد سوى هذه الهدية الرمزية أقدمها لك تعبيرًا عن صداقتنا .

تناولته منه قائلة :

ـ سأقبلها لكن بشرط .. أن تسمح لى بأن أشترى لك هدية مماثلة .. حتى يكون التعبير الرمزى عن هذه الصداقة متبادلاً .

قدمت له ربطة عنق أنيقة قائلة :

ـ ما رأيك فى ربطة العنق هذه ؟

حدجها بنظرة تتدفق حبًا قائلاً :

ـ جميلة .. جميلة جدًا .

ثم راقبها وهى تتقدمه ، وقد أمسك بربطة العنق فى يديه كما لو كان يحتضن شيئًا ثمينًا .

وبالفعل كانت ربطة العنق هذه بالنسبة له أثمن شىء فى الوجود فى هذه اللحظة .. لأنها هدية الفتاة الوحيدة التى أحبها .

تمنى لو توقفت عقارب الساعة .. وتعطلت عجلة الزمن ، ليبقى إلى جوارها ساعات أطول .

فلم يكن يريد لهذا الوقت الذى يقضيه معها أن ينقضى ..

سألها قائلاً وهو جالس إلى جوارها فى السيارة :

ـ هل تمكنت من النسيان ؟

ـ نسيان .. ماذا ؟

ـ لا بد أنك تفهمين ما أقصده .

ـ هأنتذا ترى أننى أحاول .. فشراء تلك الأشياء والتلهى بارتياد المتاجر ، والاندماج الشديد فى العمل .. كل هذه وسائل ألجأ إليها للنسيان .

أطلق (عادل) زفرة قصيرة ، وهو يتطلع إلى الطريق أمامه قائلاً :

ـ إذن .. فأنت لم تنجحى بعد فى التغلب على مشاعرك .

سألته قائلة :

ـ تجاه الشخص .. أم التجربة ؟

قال لها :

ـ الاثنان .

ـ لم يعد للشخص وجود فى حياتى .. أما التجربة فلم أنجح فى التغلب على مرارتها بعد .

ـ أنا أعرف أنها كانت تجربة مريرة لا يسهل التغلب عليها . خاصة مع ما كنت تحملينه من حب تجاه هذا الشخص .

كما أننى أحترم محاولاتك للتغلب عليها ، وأتمنى أن تنجحى فى ذلك .

قالت (دعاء) فى مرارة :

ـ لقد سمعت قصصًا كثيرة عن غدر المحبين ، وخيانة البعض للمشاعر المخلصة .. كما سمعت عن

قصص حب فاشلة .. لكننى لم أتصور أن تكون بهذه القسوة ، إلا بعد أن عشتها بالفعل ..

تأملها قائلاً :

ـ إننى أتبين قسوتها من صوتك .. ليتنى أملك ما أستطيع به أن أمحو مرارة هذه التجربة من حياتك تمامًا .

تأملته بدورها قائلة :

ـ يكفينى هذا الشعور النبيل من جانبك .

أحس للحظة وقد التقت عيناه بعينيها المغرورقتين بالعبرات .. ورأى فيهما تلك النظرة التى عادت لتحرك أوتار قلبه ـ أنه عاجز عن السيطرة على انفعالاته العاطفية تجاهها ، برغم كل المحاذير التى اتخذها لنفسه من قبل .. فقال لها هامسًا بصوت يشع عاطفة :

ـ (دعاء) .. إننى .. إننى ..

لكن لسانه عجز عن التعبير .. وعاد عقله لينبهه إلى أنه يتعين عليه ، أن يسيطر على ذلك الاندفاع العاطفى ، الذى يكاد أن يتدفق من أعماقه .. ليكتسح كل المحاذير ..

كان يمكنـه أن يلغى عقلـه وتفكيره .. وأن يطلق العنان لمشاعره نحوها ، غير عابئ بأى اعتبارات حرص على مراعاتها .

لكن الخوف .. حال بينه وبين ذلك .

خوفه من أن يفقدها .. إذا ما صرح لها بمكنون نفسه ..

نظرت إليه وقد بدا أنها أحست بما يريد أن يقوله .. لكنها لم تحاول أن تسأل أو حتى تستفسر عما أراد أن يقوله .. واحتبس داخل حلقه .

ولم تكن بحاجة لكى تسأل أو تستفسر .. فقد أوضحت عيناه كل ما عجز لسانه عن قوله فى هذه اللحظة .

كادت أن تتعاطف مع هذا الإحساس الذى رأته فى عينيه للحظة ، لكنها قاومت ذلك .

وتطلعت إلى الطريق أمامها وهى مستمرة فى قيادة السيارة .

دون أن تحاول النظر إليه .. خوفًا من أن تلتقى عيناها بتلك النظرة التى رأتها فى عينيه مرة أخرى ..

أما هو فقد احتضن عجزه عن التعبير عن مشاعره .. ولاذ بالصمت بقية الطريق .

قالت له :

ـ هل تريد أن أوصلك ؟

أجابها قائلاً :

ـ كلا .. أفضل أن أنزل هنا .

سألته وهى ترجو ألا تسمع منه إجابة صادقة عن سؤالها :

ـ هل حدث شىء ضايقك ؟

وبالفعل لم يكن مستعدًا لأن يقدم لها إجابة حقيقية ، لم يكن مستعدًا لأن يخبرها بأنه يتعين عليه الهرب فى هذه اللحظة ، قبل أن تفضحه مشاعره .. وقبل أن يتمكن منه إحساسه ، فيبوح بما يجيش به صدره ..

قال لها :

ـ لقد تذكرت أن لدى موعدًا مهمًا مع أحد أصدقائى ..

أوقفت سيارتها قائلة :

ـ حسن .. تفضل .

ـ هل سنلتقى مرة أخرى ؟

ـ بالطبع .

ـ متى .. وأين ؟

- سأتصل بك لأخبرك متى وأين ؟

- سأكون فى انتظار اتصالك .

ابتسمت وهى تهزّ رأسها .

ثم ما لبثت أن ابتعدت بسيارتها ، فى حين وقف (عادل) يرقب ابتعادها ومشاعر شتى تعتمل فى نفسه .

★ ★ ★



١٣ - رحل بعيدًا ..

عشرة أيام مرت منذ لقائهما الأخير ، دون أن يلتقيا أو يسمع صوتها فى الهاتف .

عشرة أيام مرت بالنسبة له ، وكأنها عشر سنوات .. كان بحاجة ماسة لأن يسمع صوتها أو يراها .. أيام ثقيلة .. وليالى مضنية جفاه النوم خلالها .. وعرف السهد طريقه إلى عينيه .

أحس بأنه يفتقدها بشدة .. وأنه بحاجة ماسة لأن يراها ..

كان ينظر إلى الهاتف مترقبًا اتصالها من آن لآخر .. ويهرع إليه كالمجنون كلما سمع رنينه متلهفًا على سماع صوتها .

وعاش خلال هذه الأيام القاسية أحاسيس خيبة الأمل وقسوتها ، كلما تناول سماعة الهاتف آملا أن تكون هى المتحدثة ، ليكتشف أنها شخص آخر .

لام نفسه بشدة ، لأنه لم يحاول أن يعرف عنوانها ، أو يحصل على رقم الهاتف الخاص بها .

إن كل ما يعرفه هو أنها تسكن فى الدقى .. لقد أخبرته بذلك بطريقة عـابرة دون أن تحدد لـه فى أى شارع ، أو رقم المنزل الذى تقيم به .

وكان عليه أن يبحث عنها بأية وسيلة .

ظل يجوب شوارع الدقى خلال الأيام التاليـة بحثًا عنها .. وأملا فى أن يراها ، دون أن يفلح فى ذلك .

وما لبث أن توقف عن متابعة السير ، وقد أعياه التعب .. ليستريح قليلاً .

وكاد أن يدركه اليـأس .. لولا أنـه تذكر شيئًا قد يهديه إلى العثور عليها .

وقال لنفسه متعجبًا :

ـ نعم .. لماذا لم أفكر فى ذلك من قبل .. شركة الطيران .. شركة الطيران التى تعمل بها .

كيف تسنى له أن ينسى ذلك ؟

عاد إلى منزلـه سـريعًا .. وقـد قـرر أن يتصـل بشركة الطيران ليسأل عنها .

لكن قبل أن تلامس أصابعه سـماعة الهـاتف .. تعالى رنينه فجأة . فأمسك بالسماعة ، ليسمع صوتها يأتيه على الطرف الآخر ، فهتف قائلاً :

ـ (دعاء) .

قالت له :

ـ كيف حالك يا (عادل) ؟

صاح قائلاً :

ـ (دعاء) .. أين أنت ؟ لماذا لم تتصلى من قبل ؟ وأين كنت طوال الفترة الماضية ؟

ـ لقد أردت أن أطمئن عليك .

قال لها بصوت متهدج :

ـ تطمئنين علىَّ .. لقد كنت .. كنت ..

وما لبث أن قال بعصبية :

ـ (دعاء) .. لا بد أن أراك .

ـ حسن .. مادمت تريد ذلك .

ـ أرجو ألا تتأخرى عنـى .. سـأكون فـى انتظـارك فى الكازينو الذى التقينا فيه من قبل ، بعد ساعة من الآن .

استقبلها باشـتياق شـديد ، وهـو يمـد إليهـا يـده مصافحًا قائلاً لها :

ـ لقد كنت قلقًا عليك .

قالت له بصوت خافت :

- أشكرك على هذا الاهتمام .

- كنت على وشك أن أتصل بشركة الطيران التى تعملين بها ، للسؤال عنك .. لأننى لم أكن أعرف لك عنوانًا أو رقم هاتف .

قالت له سريعًا :

- إياك أن تفعل ذلك .

نظر إليها باستغراب قائلاً :

- لماذا ؟

قالت له مستدركة :

- لأنه .. لأنه .. لا داعى لذلك .

قال لها بدهشة :

- لا داعى .. لأن أطمئن عليك .. وأعرف أخبارك ؟!

قالت له وهى تحاول أن تنتقى كلماتها :

- يتعين عليك ألا تشغل نفسك بأمرى على هذا النحو .

- ألسنا صديقين ؟

- أخشى أن تكون هذه الصداقة مجرد مقدمة لمشاعر أخرى .. خاصة من جانبك .

تراجع فى مقعده قائلاً :

- أفهم ما تعنينه .. لكننى أحاول أن أكون حريصًا على ألا تتجاوز مشاعرى وتصرفاتى حدود هذه الصداقة .

- لا تحاول أن تكذب على نفسك يا (عادل) .. إن ما رأيته فى عينيك فى لقائنا الأخير يثبت عكس ذلك .

- ومع ذلك فإننى لم أحاول أن أعبر عن ..

- ولماذا هذه المعاناة ؟ لماذا نترك الأمر لكى يستفحل ؟ لم يتعين عليك أن تجاهد لإخفاء مشاعرك ، وتبذل كل هذا الجهد من أجل إخفائها ؟

نظر إليها وقد تجددت فى عينيه ملامح الأمل قائلاً :

- أتعنين أنه يمكننى أن أبوح لك بهذه المشاعر ؟

- بل أعنى أنه يتعين علينا أن نتوقف عند هذا الحد .. وإذا كانت الصداقة التى اخترناها ستأخذ اتجاهًا آخر من جانبك ، فلنكتف منها بهذا القدر .

- (دعاء) ماذا تقولين ؟

- (عادل) .. لقد سبق أن قلت لك إننى مدينة لك بالكثير .. ولن أنسى أنك قد وقفت معى فى أحلك لحظات حياتى .. وأنك أنقذت حياتى .. لكنى لن أستطيع أن أمنحك ما تأمله منى .

- إننى لا آمل منك شيئًا ، سوى أن تسمحين لى بأن أراك وألتقى بك من آن لآخر .. أسمع صوتك .. وأحس بأنك قريبة منى .

- لماذا ؟ ما الداعى لكل ذلك ، لا تقل لى إن كل هذا بدافع الصداقة ، لأننى لن أصدقك .

قال لها بعد برهة من الصمت :

- بل لأننى أحبك .

صمتت بدورها لبرهة من الوقت ، وهى تستمع لهذه الكلمة .. ثم ما لبثت أن قالت بعصبية واضحة :

- هذا ما كنت أخشاه .

- لكننى لا أطالبك بشىء .

- ولكنى لا أريد أن أتحمل ذنب مشاعرك هذه .

- لقد قلت لك إنه يكفينى أن أراك وأسمع صوتك .. ولن اضطرك لمشاعر تماثل ما أحسه نحوك .

- إن ما تقوله لا يصلح فى عصرنا هذا .. فلست قيسًا وأنا لست ليلى العامرية .. لكى تكتفى بنظم الشعر فىَّ .

- لو كنت آمل فى أن أنال حبك ..

قاطعته قائلة بانفعال :

- بالطبع يتعين عليك ألا تأمل فى ذلك ..

نظر إليها غير مصدق قائلاً :

- (دعاء) .. لماذا تبدين قاسية هكذا ؟

قالت له وهى مستمرة فى انفعالها :

- أرأيت ؟ هذا هو ما كنت أخشاه .. لقد بدأت تتهمنى بالقسوة .. وتحاسبنى على تصرفاتى .. بينما أنت لا تملك الحق فى ذلك .

- أعرف .. إننى لا أملك الحق فى محاسبتك .. لكنى لا أجد مبررًا لهذه القسوة التى تعاملينني بها .

- ليتك تفهمنى .

- إننى أفهمك جيدًا يا (دعاء) .. وأعرف أنك تشفقين علىَّ من حبى لك لأنكِ واثقة بأنك لا تستطيعين مبادلتى هذا الحب .. ولأننى لست الشخص الذى يمكنك أن تحبيه .

ولست أول من أوضحت لى ذلك .. فقد رأيته فى أقوال وتصرفات وعيون أخريات قبلك .. وكان ذلك يؤلمنى .

لكن ما قلته الآن أشد قسوة وإيلامًا لأنك الوحيدة التى أحببتها بصدق .

كل ما كنت أرجوه هو ألا أحرم منك .. من ساعات أقضيها برفقتك .. بصفتى صديق .. أو بأى صفة تختارينها .

لكن ما دام هذا يشكل عبئًا ثقيلاً على نفسك .. فسوف أرفع عن كاهلك هذا العبء الثقيل .. وسأعتبر هذا لقاءنا الأخير .

حاولت أن تقول شيئًا ، وقد تجلى فى عينيها مظاهر الأسى .. لكنه قاطعها قائلا :

ـ أرجوك .. لا تحاولى أن تقولى شيئًا .. إننى أعفيك من كل شىء .. الحب .. والمبررات .. والإحساس بالذنب تجاهى .

وداعًا يا (دعاء) .

وابتعد عنها مغادرًا المكان .

حاولت أن تناديه .. لكن صوتها جاء مختنقًا وهى تهمس باسمه وقد اغرورقت عيناها بالعبرات .

وما إن غاب عن عينيها حتى قالت لنفسها :

ـ لماذا هذا الإحساس بالندم ؟ أليس هذا هو ما أردتِه ؟

أليس هذا هو الشخص الذى كان يثقل على مشاعرك بحبه لك ؟

ذلك الحب الذى تجلى فى عينيه ، وفى كل تصرف من تصرفاته نحوك ؟

قالت لنفسها :

ـ لم أكن أحب أن أجرحه هكذا .

وعادت لترد على ما قالته وكأنها تحاور نفسها :

ـ كان لا بد من حسم الأمور حتى لا تتطور إلى حد يصعب معه التراجع فيها .

ـ لقد فعلت هذا لأنك لا تريديه أن يندفع وراء عاطفته نحوك أكثر من ذلك .

ـ ولكن لماذا أريد إبعاده عنى .. إننى لا أنكر أننى أحمل له قدرًا من العاطفة فى نفسى ؟

ـ إنك تحملين له إحساسًا بالامتنان .. لأنك تقدرين ما فعله من أجلك .. كما أنك تشفقين عليه من التعرض للمزيد من الأذى ، الذى ذاق منه الكثير فى مشاعره وأحاسيسه المرهفة .

وهذا ليس كافيًا لكى تجعليه يتورط فى حبك ..

بينما أنت واثقة بأنك لا تستطيعى أن تمنحيه ما يقابل هذا الحب .

إن ما حدث هو الأفضل لك .. وله .

انحدرت عبرة فوق وجنتيها وهى تقول لنفسها بصوت عال .

- نعم .. إن هذا هو الأفضل لى وله ..

★ ★ ★



١٤ - رفقًا بقلبى ..

حاول أن تمضى به الأيام التالية دون أن يفكر فيها ..

أراد أن ينساها .. وأن يتغلب على تلك المشاعر التى تغلغلت فى أعماقه ، واكتسحت كيانه منذ أن رآها .

لكن النسيان لم يكن سهلاً .. والحب الذى عرف طريقه إلى قلبه ، لم يكن ليبرح القلب بمثل هذه السهولة التى تمناها .

لقد احتلت (دعاء) مكانها فى قلبه .. احتلالاً سعد به فى البداية ، لكنه أشقاه فى النهاية .

وبالرغم من ذلك .. فإن عليه أن يستمر فى المقاومة ، وأن يتغلب على هذا الحب .

أن يتعايش مع آلام فراقها ، كما تعايش مع إحساسه بالنقص ونفور الأخريات من وجهه الدميم .. فليست هذه هى أول الصدمات التى تلقاها فى حياته .. ولن تكون آخرها .

إنه سينسى (دعاء) كما أحبها .. لا بد له أن يصر على ذلك ، وأن يستخدم إرادته لتحقيقه .

لا بد أن يكون صلبًا فى مواجهة هذا الحب .. عنيدًا مع قلبه . قاسيًا على مشاعره .

لقد طردته (دعاء) من حياتها .. ولم تسمح له حتى أن يكون صديقًا .. وعليه هو أيضًا أن يطردها من حياته .. وألا يسمح لها أن تسيطر على قلبه بعد الآن .

لكن مع مرور الأيام ، تبين له أن تنفيذ ذلك لم يكن أمرًا هينًا بأية حال من الأحوال . وأن القلب الذى أحب ، يصعب إخضاعه لإرادة صاحبه .. بعد أن أصبح أسيرًا لسلطان من أحبه .

والمشاعر التى ظن أنه يستطيع التغلب عليها .. كانت دائمًا لها الغلبة عليه .

لقد استطاع أن يبتعد عنها .. لكن روحه ظلت متعلقة بها .. وحنينه إليها لم ينقطع ..

مرّ على فراقهما شهر كامل .. لم يقو خلاله على نسيانها .. ولم يستطع أن يمحو من خياله ذكريات

لقائهما الأول .. وصورة الفتاة ذات العينين المغرورقتين بالعبرات ، والتى التقى بها بجوار الصخرة .

تمنى أن يراها ولو من بعيد .. لكن كبراءه حال بينه وبين ذلك .

وذات يوم بينما كان فى طريقه إلى مغادرة عمله .. وجدها أمامه ..

هتف قائلاً وهو لا يصدق عينيه .

- (دعاء) .

قالت له وعلى وجهها ابتسامة خجلة .

- كيف حالك يا (عادل) ؟

قال لها وهو يحاول أن يستعيد السيطرة على نفسه :

- أنا بخير .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

- كنت بانتظارك .

- بانتظارى أنا ؟!

- نعم .. هل نسيت أنك أخبرتنى بمكان عملك ؟ لقد جئت إلى هنا وعلمت بموعد انصرافك .. فوقفت أنتظرك ..

ـ وما الداعى لذلك ؟

ـ هل أغضبك حضورى ؟

ـ كلا .. ولكنى أحاول أن أعرف سبب حضورك .. وانتظارك لى ..

ـ هل سنظل واقفين هكذا ؟ ما رأيك لو سرنا معًا قليلاً ؟

ـ كما تريدين .

قالت وهى تسير بجواره وقد بدا صوتها خجلاً :

ـ أما زلت غاضبًا منى ؟

ـ ولِمَ أغضب منك ؟

ـ أظن .. أننى كنت فظة فى التعامل معك ، عندما التقينا آخر مرة :

ـ لقد كنت صريحة مع نفسك ومعى .

ـ كنت أخشى أن ينجرف كلانا إلى عاطفة لا ندرى عاقبتها .

ـ تقصدين أنك كنت تخشين أن أثقل عليك بمشاعر ترفضينها . فقد أصلح بالنسبة لك رفيقًا أو صديقًا .. ومن الممكن أن تكون لقاءاتنا السابقة تعبيرًا عن امتنانك لى كما قلت من قبل .. لكن أن تنجرف الأمور

إلى ما هو أكثر من ذلك ، أن أثقل عليك بمشاعر الحب .. أن أسمح لنفسى بأن أحبك ، فهذا هو ما ترفضينه .. لأننى فى نظرك لست الشخص المناسب لذلك .

ـ ولماذا لم تقل إننى كنت أخشى عليك من الاندفاع وراء عاطفة ، تجاه إنسانة لا تستحقك ؟

قال لها ساخرًا :

ـ حقًا .. أشكرك على هذا التقدير .

ـ (عادل) .. صدقنى إن ما رأيته منك وعرفته فيك خلال الفترة القصيرة التى جمعتنا معًا .. جعلتنى أقدرك كثيرًا .. بل أراك أفضل شخص قابلته فى حياتى .

وربما لو كانت الظروف التى تقابلنا فيها مختلفة ، لتغيرت الأمور بالنسبة لكلينا .. إننى أقدر مشاعرك نحوى واحترمها ، على نحو يجعلنى أشفق عليها من الارتباط بمشاعر غير متزنة من جانبى .

قال لها بعصبية :

ـ لماذا هذا اللف والدوران ؛ ولماذا البحث عن كلمات مُنَمّقة تستخدمينها لترضينى ؟ إننى لم أطالبك

بأن تحبينى كما أحببتك ، كل ما طلبته منك هو ألا تبعدينى عنك .. وأن تسمحى لى بأن أراك بأى صفة تختارينها .

- ألا ترى كم فى ذلك من ظلم لك ؟ لقد أردت أن أجنبك المزيد من التعلق بإنسانة لا تستحق كل هذا الحب منك .

ظننت أن البعاد سيساعدك على النسيان ، والتغلب على هذه المشاعر التى كانت تغذيها لقاءاتنا .. ويؤلمك العجز عن التعبير عنها .. فلا حدود لمشاعر الحب .

قال لها (عادل) متألمًا وهو ينظر إلى وجهها :

- لكننى لم أستطع أن أنساك .. وما زالت مشاعرى تذوب شوقًا إليك .. (دعاء) .. أنت .. أنت الإنسانة الوحيدة التى أحببتها ..

نظرت إليه وعلى وجهها ملامح التردد قائلة :

- وأنا أيضًا لم أستطع أن أنساك يا (عادل) .. وهذا ما جعلنى آتى إليك اليوم .. وأسعى للقائك ، برغم كل ما قلته لك من قبل ، وبالرغم من أن هذا يتعارض مع ما أردته .

لقد أحسست بوحشة كبيرة بدونك ..

- حقًا .. حقًا يا (دعاء) ؟

- لقد افتقدتك كثيرًا يا (عادل) .

- افتقدت فىّ الصديق ..

- كلا يا (عادل) .. كلانا يعرف أن هذه ليست هى الكلمة الصحيحة للصلة التى أصبحت تربط بيننا .

- لا تقولى إنك تحملين لى ما هو أكثر من ذلك .

- ولِمَ لا ؟

- لا يا (دعاء) .. لست مطالبة بأن تقولى شيئًا كهذا .. فأنا لم أرد منك أكثر من أن أراك .. أتحدث إليك وأسير بجوارك كما نفعل الآن .

- أتستكثر علىّ أن أحبك ؟

- بل أستكثره على نفسى .. وأعرف أنه ليس من حقى أن أطمع فى هذا الحب .

قالت له بصوت خافت حنون :

- لماذا ؟

- لأننى أعرف أننى لو أملت فى المزيد ، فسوف يتحطم قلبى فى المستقبل .

- وإذا قلت لك إننى أحبك ؟

ـ سيؤلمنى هذا القول .. لأنه يعنى أنك تقولينه لى بدافع العطف والشفقة نحو إنسان أحبك .. وأنا لا أريد منك عطفًا ولا شفقة .. أمسكت بذراعه قائلة :

ـ كلا يا (عادل) .. ليس عطفًا ولا شفقة .. دعنى أكن صريحة معك لو قلت لك إننى أحبك الآن ، وفقًا لما أحسه فى هذه اللحظة فتأكد أننى صادقة تمامًا .

لكننى أعرف أننى أمر بحالة من عدم التوازن العاطفى فى الفترة الحالية ، بعد التجربة التى مررت بها .. وأخشى أن تكون مشاعرى مضطربة ، ولا يمكن الحكم عليها الحكم الصحيح .

ولكى أكون صريحة معك .. فربما أن ما أقوله لك الآن يتبدل فيما بعد .

وهذا ما دفعنى إلى الابتعاد عنك .. لقد رأيت الحب فى عينيك ، وأحسست بعاطفتك النبيلة نحوى .. ولأننى أقدرك وأقدر مشاعرك نحوى ، خشيت عليك من نزوة عاطفية أحسها نحوك فتكون غير صادقة .

خشيت عليك من مشاعر مضطربة .. وقلب لم يبرأ من جرحه بعد ، خشيت أن أعدك بحب قد لا أقدر عليه فيما بعد .. وأنت لا تستحق منى هذا .

لكننى بعد أن افترقنا طوال الفترة الماضية ، وجدتنى عاجزة عن مقاومة ابتعادك عنى أكثر من هذا .. وأحسست بمشاعرى تهفو إليك .

قد يكون هذا حبًا .. وقد لا يكون .. لا أعرف .. كل ما أعرفه هو أننى لم أقو على أن نفترق أكثر من هذا .. واندفعت فى شوق أبحث عنك ، وقد ألقيت بكل المحاذير وراء ظهرى .

ـ (دعاء) ..

قالت له مقاطعة :

ـ (عادل) .. إن كل ما أطلبه هو أن تمنحنى الوقت لكى أبرأ من جرحى تمامًا ، وأستعيد توازن مشاعرى التى اهتزت بشدة ، بعد التجربة التى مررت بها مع (فريد) .

امنحنى الفرصة والوقت .. لكى يكون حكمى على مشاعرى حكمًا صحيحًا وغير مضطرب .. حتى يكون حبى لك خالصًا .. هذا الحب الذى أشعر بمقدماته الآن .. ودعنا لا نفترق بعد الآن حتى لا نئد هذا الحب فى مهده :

أمسك بذراعيها قائلاً وقد اعتراه اضطراب شديد :

- (دعاء) .. هل يمكن ؟ كلا ..

- لقد كنت صريحة معك إلى أبعد الحدود يا (عادل) .

- سواء أحببتنى أم لم تحبينى ، وسواء ابتعدنا أو اقتربنا .. فإن هذا لن يغير شيئًا من شعورى نحوك .. فقد أحببتك وسوف أظل أحبك بغض النظر عما تحملينه نحوى من مشاعر ..

ربما رأيتك تحبيننى فى خيالى .. وحلمت بك عروسًا لى .. وعشت ساعات جميلة رائعة مع هذه الخيالات وتلك الأحلام .

لكننى كنت أعود إلى أرض الواقع دائمًا ، لأعرف أن هذا سيظل مجرد حلم وخيال .

وقد وطنت نفسى على أن أقنع بأحلامى وخيالاتى .. حتى لا أعِد قلبى بما لا يمكن تحقيقه ..

قالت له بصوت متهدج :

- ما أرق قلبك يا (عادل) .

★ ★ ★

١٥ - مشـــاعرى لك ..

تعددت لقاءاتهما فى الآونة الأخيرة .. وأحست (دعاء) بأنها تزداد اقترابًا من (عادل) يومًا بعد يوم .. وأنه أصبح يشغل ركنًا هامًّا من حياتها .

أما (عادل) فقد كان يشعر بأنه يعيش أجمل أيام حياته ، وهو إلى جوارها ، الشىء الوحيد الذى كان ينقص من سعادته ، ويثير فى نفسه إحساسًا بالقلق .. هو خوفه من أن تفارقه فى يوم من الأيام ، وأن يحرم من هذه السعادة التى لم يذق مثلها فى حياته من قبل .. كان من الصعب عليه أن يتصور حياته بدونها بعد أن بددت وحشة حياته .

وكلما ازداد تعلقًا بها .. كلما أدرك أنها كانت محقة فى رغبتها فى أن يفترقا منذ البداية ، حتى تجنبه المزيد من التورط فى هذا الحب .

بالفعل كان ينزلق إلى هذا الحب بأكثر مما تصور .. ومشاعره نحوها كانت تزداد عمقًا مع مرور الأيام .

تمنى لو أنه لم يكن قد عرفها ، أو التقى بها فى يوم من الأيام ، حتى يتجنب هذا الإحساس بالخوف والقلق من المستقبل .

ولكن .. ما الذى كانت ستكون عليه حياته بدون أن تظهر فيها ؟

لقد أشرق حبها فى غياهب نفسه المظلمة فأضاءها .. ولم يكن ليوجد هذا الضياء بدون أن تظهر (دعاء) فى حياته ..

ثم .. لماذا الخوف والقلق ؟ إنهما يزدادان تقاربًا مع مرور الأيام ،، والأمل الذى زرعته فى نفسه ليس مستحيلاً كما كان يظن .

إن أفكارهما تتقارب .. ومشاعرهما تتقارب .. وحبها ليس بعيد المنال كما تصور .. كما أن زواجه منها لم يعد حلمًا يصعب تحقيقه على النحو الذى تخيله .

نعم .. إن لديه الآن الأمل .. الأمل فى أن يحظى بالإنسانة التى أحبها واختارها قلبه .

عليه أن يتخلى عن إحساسه القديم بدمامته .. وشعوره بالنقص .. عليه أن يكون أكثر ثقة بنفسه وبالمستقبل .

من حقه أن يحلم بهذا المستقبل وقد جمعهما معًا فى منزل واحد . زوجين متحابين .

لكن فى هذه المرة سيحلم .. بحلم يمكن تحقيقه .. لن يكون حلمًا مستحيلاً كما كانت أحلامه السابقة .

ضحكت قائلة :

- لم أكن أعرف أنك شخص موهوب هكذا .

ابتسم قائلاً :

- كنت بحاجة لمن يساعدنى على إبراز مواهبى .. وقد وجدت فيك هذا الشخص .

تأملته قائلة :

- هل تعرف يا (عادل) ؟

إننى أكتشف فيك كل يوم شيئًا جديدًا يزيدنى تقديرًا لك ؟

رمقها بنظرة تجيش عاطفة قائلاً :

- أتعرفين أنت ؟ إنك جعلت للحياة معنى آخر .. لم أكن أحسه من قبل ؟

خفضت بصرها قائلة :

- (عادل) .. أظن .. أظن .. أننى أحبك بالفعل ..

غمرت ملامحه فرحة طاغية وهو يحدق فى وجهها غير مصدق قائلاً :

ـ حقًا يا (دعاء) .. أيمكن أن يكون هذا حقيقيًا ؟
نظرت إليه قائلة :
ـ (عادل) .. أنت أيضًا جعلتنى أنظر للحياة نظرة أخرى .. ولا يمكن لهذه المشاعر التى أحسها فى الآونة الأخيرة نحوك ، سوى أن تكون حبًا .. أو مقدمة للحب .
تلفت حوله قليلاً .. قبل أن يهمس لها قائلاً :
ـ لو رأيتنى الآن أقفز فى الهواء .. أو أقوم ببعض الألعاب الأكروباتية .. فلا تتهمينى بالجنون .
ضحكت قائلة :
ـ ولكن .. ما الداعى لذلك ؟
ـ لأننى فى هذه اللحظة أشعر بأننى أسعد رجل فى العالم .
تعالت ضحكتها قائلة :
ـ كلاً .. أرجوك لا تفعل ، وإلا اضطررنا لأن نتقابل فى مستشفى الأمراض العقلية بعد ذلك .
وقف ينتظرها فى اليوم التالى فى صالة المطار ، وهو يترقب وصول طائرتها بشوق ولهفة .
لقد قرر فى هذا اليوم أن يتغلب على كل عوامل

الخجل والإحساس بالنقص ، التى أحسها من قبل .. فلم يعد هناك مبرر لذلك بعد الآن .
إن العاطفة التى نشأت بينهما تتطور يومًا بعد آخر ، على نحو لم يكن يحلم به من قبل .
وما دام الأمر كذلك .. فعليه أن يكون أكثر جرأة فى التعبير عن مشاعره .. عليه أن يفاتحها برغبته فى الزواج منها .. وأن يخبرها بأن لقاءاتهما لم تعد تكفى ، وأنه يريد أن تبقى معه دائمًا .. وحتى نهاية العمر .
لكنه ما لبث أن أحس بخوف غالب شوقه إليها وترقبه لوصولها ، فماذا لو أزعجها هذا الأمر .. وأدى إلى ابتعادها عنه ؟
ربما تسبب بتصرفه هذا فى حرمانه منها إلى الأبد :
وعاد ليحاول التغلب على مخاوفه قائلاً لنفسه :
ـ كلا .. لا بد أن أكون أكثر جرأة من ذلك .. إن ما رأيته فى عينيها وفى تصرفاتها نحوى .. يؤكد أنها تبادلنى مشاعرى .
علىَّ أن أستجيب لما يمليه علىَّ قلبى .. وأطالب بحقى فى الحب والسعادة كسواى .

وفى اللحظة التى استقر فيها على هذا القرار ، كانت (دعاء) فى طريقها إلى دخول صالة المطار بعد أن وصلت طائرتها .

وما إن رآها حتى اندفع نحوها بكل ما يحمله من عاطفة فياضة .. ليناديها قائلاً :

- (دعاء) .. حمدًا لله على سلامتك .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- (عادل) .. ما الذى أتى بك إلى المطار اليوم ؟

قال لها وهو يحتضنها بعينيه :

- أردت أن ألتقى بك .

- لكننا كنا سنلتقى غدًا على أية حال .

- لم أستطع أن أنتظر إلى الغد .

ابتسمت قائلة وهى تصحبه إلى خارج المطار .

- هل الأمر مهم إلى هذا الحدّ ؟

قال لها :

- مهم للغاية .

- وما هو هذا الأمر المهم للغاية ؟

توقف عن السير ليواجهها قائلاً :

- (دعاء) .. لقد فكرت كثيرًا .. فكرت فيما قلته

لك من قبل .. وما قلته لى منذ يومين .. فكرت فى الصلة الوطيدة التى أصبحت تربط بيننا خلال الأسابيع الماضية .

وواتتنى لحظة شجاعة .. خشيت أن أفقدها لو استمررت فى التفكير أكثر من ذلك .

لذا قررت أن أتغلب على ترددى .. ومصارحتك بما يجول فى نفسى . دون انتظار .. وبلا تراجع .. وأيًا كانت العواقب .

ابتسمت قائلة :

- إنك تبدو كما لو كنت على وشك خوض معركة حربية :

- (دعاء) .. إننى .. إننى أرغب فى ...

لكن قبل أن يكمل جملته ، سمع صوتًا يناديها قائلاً :

- (دعاء) .

نظر إليها (عادل) فوجدها وقد شحب لونها ، وارتجف جسدها ..

والتفت وراءه ليرى شابًا وسيمًا يقترب منهما وهو ينادى باسمها مرة أخرى .

هتفت (دعاء) بصوت خافت قائلة :

ـ (فريد) ..

وقف أمامها قائلاً وفى عينيه نظرة لم يخطئها (عادل) .. كانت نظرة يختلط فيها الحب بالأسى قائلا :

ـ كيف حالك يا (دعاء) ؟

حاولت أن تتماسك أمامه قائلة :

ـ أنا بخير .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

أجابها قائلاً :

ـ جئت من أجل أن ألتقى بك وأتحدث إليك .

قالت وهى تحاول أن تتظاهر بالصلابة :

ـ أظن .. أن الأحاديث التى بيننا قد انتهت .

قال لها متوسلاً :

ـ أرجوك يا (دعاء) .. امنحينى الفرصة للتحدث معك .. إننى لا أطلب منك أكثر من ذلك .

قدمت كلا منهما للآخر ، حيث صافحه (عادل) وقد اكتست ملامحه بالتوتر .

أحس أن الأرض تميد تحت قدميه .. وأن الثقة التى استطاع أن يبثها فى نفسه قد أخذت تتراجع .

فها هو ذا الشخص الذى أحبته (دعاء) ، وارتبطت به ، يعود ليظهر فى حياتها من جديد .. وفى نفس اللحظة التى أراد أن يعبر لها فيها عن حبه .

ترى .. ما الذى جاء به الآن ؟ وهل يسعى لإعادة ما كان بينهما من صلة ؟ وهل تتحرك عاطفتها القديمة نحوه ؟

إنه يبدو وسيمًا للغاية .. ومن الواضح أنه يجيد الحديث .. ويملك القدرة على التأثير اعتمادًا على جاذبيته .

نظر إلى (دعاء) وهو مشفق عليها .. فقد بدا هذا اللقاء الفجائى مربكًا لمشاعرها وأحاسيسها .

ورآها وهى تحاول إخفاء ارتجافة جسدها ، والتغلب على نبرات صوتها المرتعشة وهى تقول له :

ـ إننى متعبة .. وأريد أن أعود إلى منزلى .

قال لها (فريد) بإلحاح :

ـ لن أعطلك كثيرًا .. كل ما أريده هو أن أتحدث إليك ولو لبضع دقائق قليلة .

رأى (عادل) فى نظراتها إليه استعدادًا للاستجابة لإلحاحه .. فتراجع خطوتين إلى الوراء .. قائلاً لها .

ـ سأنتظرك فى كافيتريا المطار ؟

قالت له دون أن تحاول أن تثنيه عن ذلك :

ـ سآتى إليك بعد قليل .

اختار لنفسه مقعدًا فى أحد أركان الكافيتريا فى انتظارها .. وقد تملكته العديد من الهواجس ..

لقد بدا .. قريبًا جدًا من حلمه .. فلِمَ ظهر هذا الشخص الآن ليهز هذا الحلم بعنف ؟

وتساءل .. ترى ما الذى يقوله لها الآن ؟ وهل سيحاول العودة إليها ؟

وهل ستضعف إزاء هذه المحاولة ؟

إن الارتجافة التى شملت جسدها وهى تحادثه .. والاستجابة التى رآها فى عينيها وهو يدعوها للحديث معه .. تعنى أنها ما زالت واقعة تحت تأثيره .. وأنها ما زالت تحبه .. ومستعدة لأن تغفر له كل شىء من أجل هذا الحب .

ووجد نفسه يهمس قائلاً :

ـ كلا يا (دعاء) .. أرجوك لا تضعفى .. لا يمكن لأحد أن يحبك بقدر حبى لك ، فلا تتخلى عنى الآن .

أحس بأنه يجلس فوق جمرات من النار .. وهو يكابد هذه المشاعر المضطربة .

مرت عليه الدقائق ثقيلة ومضنية .. عشر دقائق .. ثلاثون دقيقة .. ساعة .. ساعة ونصف .. لكنها لم تأت .

وأدرك (عادل) أنها لن تأتى .. وأن (فريد) قد تمكن من الاستحواذ على مشاعرها ، إلى حد جعلها تنساه تمامًا .

ولم يعد أمامه سوى الرحيل .. فغادر الكافيتريا وهو يجر قدميه .. عليه الآن أن يستيقظ من حلمه الجميل .. وأن يعرف أن الحلم قد انتهى ، ولم يعد باقيًا له منه سوى الذكرى .. ذكرى الفتاة التى أحبها .. والتى حركت فى نفسه مشاعر رائعة كان يظنها مستحيلة .

حاول أن يشير إلى سيارة أجرة لكى تحمله إلى المنزل .. لكنه سمع صوتًا يناديه قائلاً :

ـ ألا ترغب فى الركوب معى ؟

استدار وهو لا يصدق أذنيه ليراها واقفة أمامه .

همس باسمها فى فرحة لم يستطع أن يخفيها قائلاً :

ـ (دعاء) .

ابتسمت له قائلة :

ـ هل كنت ترغب فى الذهاب بدونى ؟

ـ لقد انتظرتك .. لكنك لم تحضرى .

ـ لقد احتاج الأمر منى لبعض الوقت لكى ننهى حديثنا .

ـ لقد ظننت أنك نسيتنى .

ـ آسفة لأننى تأخرت عليك .. والآن هل تسمح بركوب السيارة معى ؟

قادت سيارتها وهو جالس بجوارها .. يترقب سماع ما ستقوله .

لكنها لم تتكلم وظلت صامتة .

كان صمتًا ثقيلاً على نفسه .. فقد بدا وكأنه ينتظر نتيجة اختبار قد يوفق فيه إلى النجاح ، وقد ينتهى به الأمر إلى الفشل .

وأخيرًا تحدثت قائلة :

ـ حاول أن يعتذر لى عما حدث .. ويبرر خيانته معى بكلمات كثيرة منمقة .

أخبرنى أن هذه الفتاة التى وجدتها معه ، كانت ابنة لأحد رجال الأعمال . وكان يأمل فى أن يساعده فى مشروعه الذى يريد تنفيذه .

كما أوضح لى بأنه لم يكن يحمل لها أى حب .. وأنه اضطر للارتباط بها من أجل تحقيق طموحاته

فقط .. وأنه كان ينتظر أن يضع قدميه على أول الطريق فقط ، ثم يتخلص منها ويعود إلىّ لأنه لم يحب أحدًا سواى .

كما قال لى إنه أدرك فداحة خطئه .. وأنه تصرف بطريقة لا أخلاقية . لذا لم يستطع أن يواصل لعبته حتى النهاية .. لأنه لم يتحمل فراقنا ، ووجد أن حبه لى أقوى من أى اعتبار آخر .

فضحى بالفتاة وبالمشروع وبكل شىء من أجل أن يستعيدنى . وطلب منى أن أغفر له وأسامحه .. وأقسم بأننى أهم لديه من أى شىء آخر ، وأنه لا يستطيع الحياة بدونى .. متوسلاً لى أن نعود لبعضنا مرة أخرى .

سألها قائلاً :

ـ وهل صدقته ؟

أجابته قائلة :

ـ ليس هذا هو المهم ، إن كنت قد صدقته أم لم أصدقه .

ـ وما هو المهم إذن ؟

- المهم .. ما هى مشاعرى نحو هذا الشخص الآن ؟ هل بقيت كما هى أم اختلفت ؟

- لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال سواكِ .

- لقد طرحت هذا السؤال على نفسى بالفعل .. وعرفت الإجابة ..

لم يعد لهذا الشخص وجود فى حياتى .. ولم تعد مشاعرى نحوه كما كانت من قبل .. لقد انتهت هذه المشاعر ، ورحلت إلى الأبد .

- هل يعنى هذا ..

قاطعته قائلة .

- إنه من المستحيل أن نعود إلى ما كنا عليه من قبل .

سألها وقد عاد الأمل ليتجدد لديه من جديد :

- هل أنت واثقة من ذلك ؟

- كل الثقة .

ثم أردفت قائلة :

- لكنك أردت أن تقول لى شيئًا قبل أن يظهر (فريد) .. ترى ما هو ؟

- لقد أردت أن أقول لك ..

قاطعته قائلة :

- أنا موافقة .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- موافقة على ماذا ؟

ابتسمت قائلة بمرح :

- على زواجى منك .. ألم تكن تنوى أن تقول لى إنك تحبنى بشدة . وإنك ترغب فى الزواج منى ؟ وتأمل أن أوافق على هذا الزواج ؟

تهلل وجهه بالفرحة قائلاً :

- نعم .. هذا ما أردت أن أقوله .

- حسن .. وهأنذا قد قلت لك إننى موافقة .. إننى أحبك أيضًا يا (عادل) .. وأنا واثقة تمامًا من هذا الحب بأكثر من أى وقت آخر . لذا فقد كنت أنتظر منك أن تطلب منى هذا الطلب .

هتف قائلاً :

- إننى لا أصدق نفسى .

ضحكت قائلة :

- بل يتعين عليك أن تصدق ، وأن تعد نفسك لترتيبات الزواج منذ الآن .

لم يشعر بأنه جالس داخل سيارة تسير به على الطريق .. بل فوق بساط الريح ، ينقله إلى عالم آخر .. عالم يزخر بالحب والسعادة والمشاعر الدافئة مع الإنسانة التى أحبها وأحيت فى قلبه هذه المشاعر . فتاة أحلامه ..

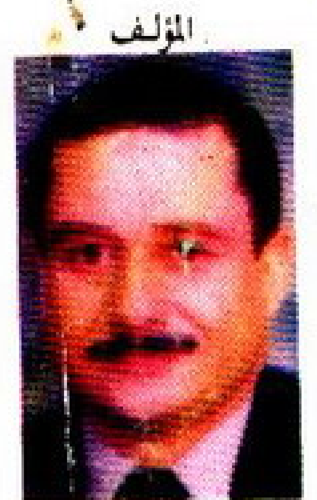
★ ★ ★

(تمت بحمد اللّٰه)

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



ا. شريف شوقى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

مشاعر دافئة

عندما التقى
(عادل) و (دعاء) كان
كلاهما يحمل جرحًا فى قلبه لم
يبرأ بعد .. وسرعان ما تسللت
مشاعر الحب الدافئة إلى قلبيهما
.. لتعمل على مداواة هذه
الجراح

73

١٧٨٩

الثمن فى مصر ١٥٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم